

الفصل الرابع والخمسون

الغزو وأيام العرب

الغزو :

والغزو في تعريف علماء اللغة : الطلب . وهو مورد من أهم موارد الرزق عند الأعراب ، لا سيما في سني انحباس السماء وانقطاع الغيث وغضب السماء على الأرض ونفورها منها ، حيث تقطع غرامها بها ، فتحبس عنها دموعها المعبرة عن شوق السماء الى الأرض وعن مكانهم المنكوب الى مكان آخر فيه ماء : بشر أو ماء جار ، أو عين دائمة والاستيلاء عليه عنوة وقهراً ، أو صلحاً بغير قتال ، وذلك إذا وجد أصحاب الماء أن من غير الممكن لهم ، مقاومة الغزاة ، وأن خير ما يفعلونه للحفاظ على حياتهم ، هو ترضية الغازين والتودد اليهم ، وارضائهم من غير حرب ولا قتال ، وفي ذلك توفيق بين مصلحة الغازين والقارين .

وقد يقع الغزو لأسباب أخرى لا علاقة لها بانحباس المطر ، بل بسبب طمع القبائل بعضها في بعض ، ولا سيما القبائل التي ترتبط بروابط حلف مع قبائل أخرى . والعادة أن القبائل القوية تطمع في القبائل الضعيفة لتأخذ منها ما عندها من مال ورزق . فتغزوها لتستولي على ما طمعت به ، وقد تنجح وقد تفشل وتخسر . والقبائل الضاربة على أطراف الحضارة ، تطمع في الحضرة لما عندهم من رزق حرمت منه ، من رزق وافر ومن ماء ومن وسائل عيش رغيدة ، فتغزوهم ولهذا صار من اللازم على الحضرة تعزيز أنفسهم ، بناء حصون وآطام ومناظر لمراقبة

الغزاة ، وبشراء سلاح لا يتوفر عند الأعراب من سيوف ماضية صلبة حادة ، ومن اتخاذ حرس من الرقيق والمرترقة ليساعدهم في الدفاع عن حاضريهم ، أضف الى ذلك شراء سادات القبائل الضارين حولهم بالمال وبالهدايا وبالألطاف ، لمنع أعرابهم من التحرش بهم ، ول منع الأعراب الغرباء الذين قد يطمعون فيهم من الدنو منهم .

أضف الى ما تقدم من أسباب وقوع الغزو: أثر العلاقات الشخصية بين سادات القبائل ، من زواج وطلاق ، ومن حسد وتنافس ، ومن كلمة نايصة قد تثير حرباً بين قلبي شخصين متنافرين ، ومن عمل سفیه جاهل يثير غزواً وحرباً بسبب عصبية قومه له ، ودفاع الجانب الآخر عن صاحبهم حمية وغيرة . الى غير ذلك من عوامل معقولة مفهومة وعوامل نافهة سخيفة تجد لها مع ذلك مكانة في القلوب فتثير غزواً وتسبب نكبة لأناس مساكين فقراء ، لا دخل لهم في كل خصومة ، وكل ما لهم أنهم من قوم غضب عليهم قوم آخرون ، فزادوا في تعاسة إخوانهم المغزوين. والغازي والمغزو مع ذلك معدم محروم من النعم التي وهبتها الطبيعة لغيرهم من البشر ، بأن جعلتهم في أرضين خصبة ذات ماء وخيرات وجو حسن ، أما هؤلاء التعساء أبناء البادية ، فلم يجدوا أمامهم من رزق متيسر سهل سوى الرزق عن طريق هذا الغزو .

فالغزو إذن هو حاصل ظروف طبيعية واقتصادية واجتماعية ، أملت بالأعراب وأجبرتهم على ركوب هذا المركب الحشن . كارهين أم مختارين فليس للأعرابي للمحافظة على حياته ولتأمين رزقه غير هذا الغزو . وقد بقي يغزو حتى في الاسلام ، مع منع الاسلام له لا يجد فيه مع ذلك غضاضة ولا بأساً . وهو إن امتنع اليوم منه وطلقه ، فإنه لم يتركه عن إرادة واختيار وطيب خاطر ، وإنما امتنع منه لأنه يعلم انه إن قام به ، فإن هنالك حكومات أقوى منه ، لها أسلحة لا يملكها ولا يستطيع التغلب عليها ، وعلى رأسها الطائرات ، ستفتك به فتكاً ذريعاً ، وتكرهه على الخضوع لأحكامها ، وعلى الاستسلام لها ، وعلى تجريده مما يملكه ومما يستولي عليه لذلك خنس وسكت عن الغزو .

ومن هذا الغزو ، غزو وقع في الجاهلية بين قبائل صغيرة ، لذلك لم ينل من أهل الأخبار حظاً من الذكر والرعاية والعناية ، ولم يجد له مكاناً بارزاً في صفحات كتب الأخبار ، وغزو كبير خلد الشعر الجاهلي ذكره ، فأخذ رواة الشعر يتسقطون

أخباره ، ويجمعون ما وعته ذاكرة رواة الأخبار من أمره ، فوجد له مكاناً فسيحاً رجباً في شروح الشعر الجاهلي وفي كتب الأخبار والأدب وقد عرف مثل هذا الغزو الخالد بـ (أيام العرب) وبـ (أيام القبائل) . وقد ذكر صاحب كتاب (الفهرست) أسماء جماعة من علماء الأخبار ألقوا فيها ، وشغلوا أنفسهم بجمع أخبارها ، دونوها في كتب وفي جملتها مدونات عن أخبار أيام وقعت بين بطون قبيلة واحدة .

وقد تداول الجاهليون أخبار الغزو ، وصيرت القبائل المنتصرة الأيام التي انتصرت فيها ملاحم ، تعيد قصتها في مجالسها وأنديتها ، وقد زخرت قصصها بأخبار الشجعان الذين برزوا فيها ، وبالغت في أخبار شجاعتهم حتى طغت على أخبار الغزو نفسه ، وصار البطل رمزاً للقبيلة ، تستمد منه الشجاعة والإقدام في النصر وفي الهزائم والخسائر . فالنصر كما نعلم لا يدوم لأحد . وربّ قبيلة وكر عليها طير السعد فسعدوا الحظ بالنصر ، ثم طار عنها ، لأن الأيام الحلوة لا تدوم أبداً . وقد تصاب القبيلة المنتصرة بنكسة ، فتعوض عن ذكرى خسارتها ، بذكرها انتصارها في الماضي ، فيكون الماضي خير مسل لها عن مرارة الهزيمة ، وأحسن مشجع وباعث على النصر في غزو المستقبل .

وقد أمدتنا أخبار الغزو بأسماء عدد من أبطال الجاهلية عرفوا بالشجاعة ، لا تزال أخبار بعضهم تروى وتقص على الناس . وتقرأ قصتهم في المجالس مثل قصة (عنبرة) التي حصلت على النصيب الأوفر من الشهرة والذكر من بين القصص المروي عن أبطال الجاهلية ، وهو قصص ، مهما قيل عنه ، وعما ورد فيه من مبالغات ، فإنه لا يصل إلى درجة القصص المروي عن أبطال الفرس القدماء أو اليونان أو الرومان أو العبرانيين في المبالغة بشجاعتهم وبقوة أجسامهم الخارقة .

لقد فرضت الطبيعة على العربي أن يكون محارباً غازياً ، فقد حرّمته من خيرات هذه الدنيا ومن طيبات ما تنبت الأرض . حرّمته من وجود حكومة تحميه وتدافع عنه وحرّمته حتى من وسائل الدفاع عن النفس . فجعلته لا يملك شيئاً يكنّ إليه في البوادي ليحمي به نفسه من الرياح السوموم ومن أشعة الشمس القاسية ومن الحيوانات الوحشية ، وجعلته يقابل المرض بمفرده ، إذ ليس في البادية طبيب حاذق دارس . فلم يكن أمامه والحالة هذه إلا أن يعلم نفسه الصبر ، وإن يصير محارباً غازياً لا يبالي بالنصر أو بالخسارة ، بالحياة أو بالموت . إن خسر هذه

المرة ، حاول تعويض الخسارة بجولة جديدة وهكذا . لأنه إن يثس وجلس واستسلم للزمان ، أكله جار له يطمع في ماله مهما كان،فهو لا بد له من استعداد لغزو جديد .

وقدر البادية قد حدد في الوقت نفسه من غرام الأعراب في الغزو . إذ جعل أسلحتهم محدودة وامكانياتهم في القتال دون امكانيات الحضر بكثير . لذا صار غزوهم للحضر كـ " سريع وفر " بأقصى ما يكون من السرعة ، للنجاة بما حصلوا عليه من سلب ، أو للنجاة بأنفسهم من القتل في حالة الخسارة والهزيمة . ولهذا كانوا يحسبون ألف حساب حين يريدون غزو حدود الحكومات الكبيرة ، ولا يقدمون عليه إلا بعد درس وتأمل ووقوف على مواطن الضعف والثغرات في خطوط الدفاع لتلك الحكومات . أما غزوهم بعضهم بعضاً ، فإن أسلحتهم فيه متساوية متكافئة . سيوف ورماح ورمي بالسهم . والذي يكسب النصر فيه ، من له عدد وافر كثير وخيل وفرسان شجعان ، يأخذون الخصم بمباغتة ومفاجأة .

الخيـل :

والخيـل نصيب كبير ولا شك في الغزو وفي اكثاره في جزيرة العرب إذ صارت سبباً من أسباب توسيع رقعة الغزو والحروب . فالقبيلة التي تمتلك عدداً كبيراً من الخيل يكون لها النصر في الغالب ، لأن الخيل سريعة الحركة وهي تمكن الفارس من مقارعة خصمه بسرعة،ومن ملاحقة الراجل والوصول اليه بسهولة ، فلا يكون أمامه عندئذ سوى المقاومة أو القتل أو الوقوع في الأسر . وبفضل الخيل ظهر الأبطال الفرسان ، الذين نقرأ أسماءهم في أخبار الأيام . والحصان مثل البطل ، يجب عده من أبطال معارك تلك الأيام . فقد مكّن القبائل الغنية من بسط نفوذها على القبائل الضعيفة . فالجمل ثقيل الحركة بطيء السير بالنسبة الى الفرس ، وفي امكان من لديه عدد كبير من الخيل غزو القبائل التي لا تمتلك مثل هذا العدد من الخيل ، حتى وإن امتلكت عدداً كبيراً من الإبل والرجال . لما ذكرته من سرعة حركة الخيل ومن مرونتها في القتال وفي الكر وفي الفر ، ثم لصبرها ولتحمل أعصابها على ضبط نفسها في القتال بالنسبة الى الجمل الذي يهيج بسرعة فتثور أعصابه ، فيولي لا يبالي الى حيث يوجهه هياجه، ملقياً براكبه عن ظهره في بعض الأحيان،

أو يذهب طائشاً مسرعاً ، لا يخضع لتوجيه راحته له . والجمل إذا هاج صار من الصعب عل صاحبه الامساك بزمامه وتوجيهه حيث يريد .
وقد اشتهر بعض الناس بالعدو ، من هؤلاء : (سليك بن السلكتة) المعروف بـ (سليك المقانب) . وكانت أمه سوداء . وهو أحد أغربة العرب ، وأعدى الناس ، لا يشق غباره ، وقد أشير اليه في الشعر^١ . وقد استفيد منهم في الغزو ، فكان منهم المخبرون المتلصصون لأخبار الغزاة أو المغزوين . وكان منهم من يباغت ويفر ، فلا يلحق به ماش . فإذا لحقه أحد أتبعه في عدوه ، حتى إذا تعب انقض عليه .

الجمل :

وقد أكون مقصراً هنا إذا أهملت الحديث عن صديق جزيرة العرب وأليفها الحبيب : الجمل . لقد تحدثت عنه في الجزء الأول من هذا الكتاب في أثناء تحدثي عن جزيرة العرب وعن ثرواتها بما فيه الكفاية ، ولكنني لا زلت بحاجة إلى التحدث عنه بشيء لم أذكره في ذلك المكان^٢ ، وسأذكره هنا لما له من صلة بهذا الموضوع .

والإبل هي المال عند العرب . وبها كانوا يقدرون أثمان الأشياء ويتعاملون في تجارتهم وفي أسواقهم . فالجمل عندهم هو وحدة قياسية في البيع وفي الشراء وفي تقدير الحقوق كالديات والفدية والمهور والاراشة وما شاكل ذلك . وبمقدار ما يملك الانسان من جمال تقلد ثروته وينظر إلى غناه، لأنه الحيوان الوحيد الذي في إمكانه قطع البوادي بجيلاء ، رافع الرأس ، غير عابىء بما يكون تحت أخفاف أرجله من رمال ، هازيء بالعطش إذ هو صبور عليه ، لمدة لا يمكن أن يباريه في طولها حيوان آخر . ثم هو يحمل الانسان ويحمل متاعه . وهو طعام الانسان إن مضه الجوع ، أو جاءه ضيف كبير . وهو يشرب حليب النوق ويجد فيه شفاءً وعافية وتعويضاً عن الماء والطعام . فلا عجب إذن إن اتخذ الأعرابي الجمل مقياساً للثروة والمال .

١ الثعالبي ، ثمار (١٠٥) .

٢ (ص ١٩٧) .

والإبل على منازل ودرجات فيها الجمل الأصيل المقدر وفيها الجمل الحرود المتبذل . وخير الإبل عندهم : الإبل الحمراء ، لأنها أصبر من غيرها على الهواجر ، والعرب تفتخر بعدد ما عندها من الجمال الحمر ، لغلاء ثمنها بالنسبة إلى الجمال الأخرى ومن هنا ضرب العرب بها المثل حين قالوا : « ما أحب أن لي بمعارض الكلم حمر النعم »^١ . فالمراد بحمر النعم : الإبل الحمراء .

والإبل الصهباء من الإبل الجيدة الشريفة في نظر العرب . (قال ابن الأعرابي : تقول قريش : الإبل صهباء وأدمها ، يذهبون في ذلك إلى تشریفها على سائر الإبل . وقد أوضحوا ذلك بقولهم : خير الإبل : صهباء وحرها . فجعلوها خير الإبل)^٢ . وقيل الأصهب من الإبل الذي يخالط بياضه حمرة . وهو أن يحمر أعلى الوبر ويبيض أجوافه . وقد عرفت هذه الإبل بسرعتها . والصهباء الناقة الصهباءة . وفي الحديث : كان يرمي الجمار على ناقة صهباء . وإبل صهباءة منسوبة إلى فحل اسمه (صهاب) ، أولد الإبل الصهباءة^٣ .

وعدت الإبل الرمكاء ، من أبهى إبل العرب . وأما النوق الخور ، فهي النوق التي تمتاز عن غيرها بكثرة ألبانها ، وتكون ألوانها بين الغبرة والحمرة وفي جلودها رقة . وقد عدت من الجمال الرقيقة الحسنة . قالت العرب : الحمر من الإبل أطهرها جلداً والورق أطيبها لحماً والخور أغزرها لبناً . وقد قال بعض العرب : « الرمكاء بهاء والحمراء صبراء والخوارة غزراء »^٤ .

ويقسم أهل الأخبار الإبل ثلاثة أصناف : يمانى ، وعرابى ، وبختى . فاليماني هو النجيب وينزل بمنزلة العتيق من الخيل . والعرابى كالبرذون . والبختى كالبعزل . وذكر أن في الإبل ما هو وحشي وأنها تسكن أرض وبار ، وهي غير مسكونة بالناس . وتسمى الإبل الوحشية (الحوشي) . ويذكرون أنها من بقايا إبل (عاد) وثمود . والمهريه منسوبة الى (مهرة) ، وهي سريعة العدو ، ويعلفونها من قديد

١ تاج العروس (١٥٨/٣) .

٢ تاج العروس (٣٤١/١) ، (صهب) .

٣ قال طرفة :

صهباءة العثنون موضحة القرا بعيدة وخد الرجل مواراة اليد

٤ تاج العروس (٣٤٢/١) ، (صهب) .

تاج العروس (١٩٢/٣) وما بعدها ، (خور) ، (١٣٧/٧) ، (رمك) .

سمك يصطاد من بحر 'عمان'. وذكروا أن (الحوشي) الوحشي من الإبل وغيرها. منسوب إلى بلاد الجن من وراء رمل (بيرين) ، لا يمر بها أحد من الناس . وقيل هم من بني الجن . وقيل هي فحول جن ، تزعم العرب أنها ضربت في نعم بني مهرة بن حيدان فتنتجت النجائب المهرية من تلك الفحول الوحشية، فنسبت إليها ، فهي لا يكاد يدركها التعب^٢ .

ولتحمل الإبل الجوع والعطش ولصلاحها على المشي في البوادي صارت خير أليف للعرب . وقد اشتهر بعض منها ، لاشتراكه في الغزو والحروب . وكانوا يسابقون بين الإبل . وسابق الرسول بين الإبل ، وكانت ناقته القصواء سريعة الجري فسبقت مراراً . وتعدّ لحوم الإبل من اللحوم الطيبة عند الجاهليين . أما اليهود ، فكانوا يحرمون عليهم أكل لحومها . وذكر (التويري) أن من الناس من قال : « إن العرب إنما اكتسبت الأحقاد لأكلها لحوم الجبال ومدامتها »^٣ ، لأنهم الجمل بالحد والظم ، وبعدم نسيانه الإساءة .

والجمل من الحيوانات القانعة الصابرة . وهو الحيوان الوحيد الذي رضي بمرافقة الأعراب ومصادقتهم منذ آلاف السنين . ولولا هذا الجمل لما كان في استطاعة العرب اختراق جزيرتهم ، والتنقل فيها من مكان إلى مكان . وبفضله اتصلت عرب جزيرة العرب بعضهم ببعض وقامت المستوطنات في مواضع نائية منعزلة من بلاد العرب وقهر العربي ظهر باديته . وتكونت فيها تجارة برية . وطرق برية طويلة يترقها الجمل بغير كلل ولا ملل ، صابراً على العطش حتى يصل إلى مرحلة يعبد فيها يكون فيها ماء وفي استطاعة الجمل تحمل العطش مدة أربعة أو خمسة أيام في الصيف ، ومدة خمسة وعشرين يوماً في الشتاء . لأنه يختزن الماء في جوفه ويعيش عليه . حتى صار هذا الماء المخزون في جوف البعير سنداً للأعراب وأملهم الوحيد في انقاذ حياتهم عند اشتداد العطش بهم ، وانقطاع الماء عنهم . ولما عبر خالد بن الوليد البادية لفتح بلاد الشام اختزن الماء في أجواف الإبل ، لقلته الماء في البادية ، فلما اشتد العطش بجيشه ، ذبح بعض الإبل وأسقى من الماء المخزون في أجوافها ، وبفضله تمكن الجيش من الصمود أمام أهوال العطش ومن الوصول

١ نهاية الأرب (١٠٩/١٠ وما بعدها) .
٢ تاج العروس (٣٠٢/٤) ، (حاش) .
٣ نهاية الأرب (١١٠/١٠) .

الى بلاد الشام بسلام . وهكذا ساهم هذا الحيوان في انتصار خالد على جيش الروم . ولا زال الجمل عماد الأعراب في حياتهم . ولا يمكن أن نتصور وجود أعرابية بغير جمل وقد أناط إنسان القرن العشرين به أعمالاً جديدة لم يكن يعرفها ، فعهده إليه تقل الآلات الحديثة ومنتجات حضارة هذا القرن في البوادي فنجح في أدائها أحسن نجاح . ومع ذلك ، فإن الزمن ضده ، فالجمل بطيء لا تتناسب سرعته وسرعة عصور السرعة وطفرة التطور الحديث ، ولا بد وأن يأتي عليه يوم سيحال فيه على التقاعد عن العمل ، فيقل بذلك وجوده ، ويصير مكانه في حداق الحيوان . ولتمييز الإبل وتعيين أصحابها ، وُسِّمت بسمات وعلمت بعلامات عرفت عندهم بـ (سمة) و (سمات) ، توسم في الخد والعنق والفخذ ، على صور شتى ، مثل المشط والدلو والخطاف ، أي على صورة هذه الأشياء^١ . ويكون وسم الإبل بالميسم : حليلة تحمى فيكوى بها ، فتترك أثراً على الموضع الذي كوي . وذكر أن الوسم أثر ، أثر كية ، يقال : موسوم ، أي قد وسم بسمة يعرف بها ، إما كية ، وإما قطع اذن ، أو قرمة تكون علامة له . والوسام والسمة ما وسم به الحيوان من ضروب الصور . وفي الحديث انه كان يسم لإبل الصدقة ، أي يعلم عليها بالكى^٢ .

وسمات الإبل : السطاع ، والرقمة ، والخباط ، والكشاح ، والعلاط ، وقيد الفرس ، والشعب ، والمشيطة ، والمعفاة ، والقرمة ، والجرفة ، والخطاف ، والدلو ، والمشط ، والفرتاج ، والتؤثور ، والدماغ ، والصداع ، واللجام ، والمهلال ، والخراش ، والعراض ، واللحاط ، والتلحيط ، والتحصين ، والصقاع ، والدمع^٣ .

ويقع الغزو في وجه الصباح في الغالب ، ولذلك يقال : (صبحوا ب ...) أي أتوا صباحاً . وقد يقال : (صبحه بكذا) ، أي بعدد يذكر من رجال الغزو . ومن ذلك قول بجير بن زهير المزني :

صبحناهم بألف من سليم وسبع من بني عثمان وافي

أي أتيناهم صباحاً بألف رجل من (بني سليم)^٣ .

- | | |
|---|--|
| ١ | تاج العروس (٢٢٤/٥) ، (مشط) . |
| ٢ | تاج العروس (٩٢/٩) ، (وسم) . |
| ٣ | تاج العروس (١٧٤/٢) وما بعدها ، (صبح) . |

أيام العرب :

عرفت الحروب والمناوشات التي وقعت بين القبائل بعضها مع بعض ، أو بين ملوك اليمن والقبائل أو بين الفرس والعرب أو بين الملوك العرب والقبائل بـ (الأيام) وبـ (أيام العرب) ^١ . وهذه الأيام تُولف - في الواقع - القسط الأكبر من علم الأخباريين بتاريخ الجاهلية ، ومادتها القصص الذي تناقله الناس عن شهدوها ، وحفظوه في صدورهم ، إلى أن كان التدوين فدوّن . وهو مادة محبوبة تناولها الناس في الجاهلية والاسلام بلذة وشوق ، فكانت هي والشعر الجاهلي من أهم المجالس . (قيل لبعض أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتكم في مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد الشعر ، وتحدث بأخبار جاهليتنا) ^٢ ، وأهم أخبار الجاهلية هي هذه الأيام .

ومادة هذه الأيام عربية خالصة ، يتخللها شعر قيل بالمناسبة في تلك الأيام في الفخر والحماسة وفي هجاء الخصم والانتقاص منه . والفضل هو لهذا الشعر في حفظ أخبار تلك الأيام ، وصيانتها من النسيان ، لاضطرار الراوي والسامع إلى الاطلاع على المناسبة التي قيلت فيها تلك الأشعار . وعلى هذه المادة العربية اعتماد المؤرخ في تدوين تاريخ العرب في الجاهلية ، وتتبع التطورات السياسية التي حدثت قبيل الاسلام .

وفي شعر المخضرمين وشعر الشعراء الاسلاميين الذين نبغوا في العهد الأموي مادة تفيدنا في الوقوف على خبر تلك الأيام . فقد حفظ تفاخر الشعراء بقبائلهم ومهاجرة بعضهم لبعض آثار تلك الأيام ، فدونت في شعر الهجاء والتباهي والتفاخر ، وزاد بذلك علمنا الذي أخذناه من أخبار الأيام ومن الشعر الجاهلي الذي أشير فيه إليها . وموضوع كموضوع الأيام ، لا بد أن يقبل العلماء عليه اقبالاً كبيراً ، وهذا ما وقع ، فألف فيه جماعة ، منهم (أبو عبيدة) المتوفى سنة (٢١٠) أو (٢١١) للهجرة ، وأدخله قوم في مؤلفاتهم ، فأفردوا له باباً أو أبواباً ، ولكننا لا نملك حتى اليوم كتاباً قديماً قائماً بذاته في الأيام . وكل ما نملكه هو هذه الأبواب الداخلة

١ اللسان (١٣٩/١٦) .

٢ العقد الفريد (٣/٦ وما بعدها) ، نهاية الأرب (١٥/٣٣٨) ،

ENCY. I, p. 218.

في بطون كتب الأدب في الغالب وفي بعض كتب التاريخ والجغرافيا ، سأشير إليها في أثناء حديثي عن الشهر من هذه الأيام^١ .

وقد أشار (ابن النديم) وغيره الى أسماء مؤلفين ألفوا كتباً في أيام العرب^٢ . منهم من ألف عنها كلها ، ومنهم من ألف عن بعضها . ومنهم من ألف في أيام قبائل معينة . لكنها لم تطبع ، ولعل من بينها من قد يطبع في المستقبل . وقد ورد أن (أبا الفرج الأصبهاني) قد استقصى أيام العرب في كتاب أفردته لذلك ، فكانت أيامة ألفاً وسبعائة يوم^٣ .

ولكن هذه الأيام غير منسقة ويا للأسف ، ولا ميوّسة على حسب ترتيب الوقوع ، وتسلسل الزمن . ثم إن من الصعب استخراج مستند منها يمكن الاعتماد عليه في تصنيف هذه الأيام ، وتنظيمها على أساس تأريخي ، مع أنها مادة المؤرخ الذي يريد كتابة تاريخ جزيرة العرب قبل الاسلام ودراسة التطور السياسي فيها . وقد حاول المستشرقون تنسيقها وترتيبها على أساس تواريخ الوقوع ، فلم يفلحوا إلى الآن في الوصول إلى نتيجة مرضية . ولو كانت لدينا معارف عن أحوال من أسهم فيها وأجّج نارها ومن قال شعراً فيها^٤ ، تدر لنا السبيل لتثبيت التاريخ وضبط السنين ، لصار في امكاننا ضبطها وتعين تواريخها استناداً إلى هذا المروي عن أولئك . ولكن ما نعرفه عن هؤلاء الرجال ، وهم أبطالها وأصحابها ، لا يقل غموضاً وإهاماً من حيث التواريخ والسنين عن غموض تواريخ تلك الأيام وإهامها ، ولذلك فكل ما يقال عن تواريخ الأيام وترتيبها والسنين التي وقعت فيها ، هو حدس وتخمين . وسيبقى الحال على ذلك ، حتى تهيباً مادة جديدة كنصوص جاهلية مدونة أو موارد أخرى قد تتعرض لتلك الأيام بتأريخها أو بتأريخ من اشترك فيها على وجه مضبوط صحيح . وعندئذ يكون في الامكان تدوينها على نحو علمي يشرح لنا تطور الحوادث عند العرب قبيل الاسلام .

ولوجود مجال واسع للعب العاطفة في أخبار الأيام ، تجب دراسة الروايات على حذر ، والتفتيش — على قدر الامكان — عن روايات متعددة عن اليوم الواحد ،

-
- ١ الفهرست (٨٥) ، العمدة (٢٠٠/٢ وما بعدها) ، صبح الاعشى (٣٩٣/١) .
 - ٢ الفهرست (١٤٨) ، (أخبار هشام الكلبي) .
 - ٣ بلوغ الأرب (٦٨/٢) .
 - ٤ العمدة (٢٠٠/٢ وما بعدها) ، صبح الاعشى (٣٩٣/١) ، الفهرست (٨٥) .

للمقارنة والمقابلة والغريزة. وليس هذا بأمر ميسور، لأن الروايات والأخبار محدودة، وهي ترجع بأخرة إلى فقر تستطيع حصرهم. فهذه الأبواب، وإن كانت متعددة مثورة بين مؤلفات، دوتها مؤلفون مختلفون، إلا أنها أخذت من ذلك النفر، فهي لم تأت لهذا السبب في ثناياها بشيء جديد.

وفي هذا النفر المذكور، فقر منحاز متحيز، يشايح قومه، ويريد نسبة الغلب والتفوق لهم، والغرض جهد إمكانه من خصوم قومه ومن الأطراف التي خاصمت قومه واشتبكت معها في قتال، وهو مكثّر بالنسبة لجماعته، مبالغ يسند مبالغاته بكلام مثور ومنظوم، ليثبت صحة قوله. ولهذا وجب الانتباه لهذه الناحية والحذر من تصديق كل رواية وإن نسبت إلى خيرة من نثق بعلمهم من الرواة. وهذه الأيام ليست حروباً بالمعنى المفهوم من الحرب، فإن منها ما هو مجرد مناوشات أو مهاجمات وغزوات لم يسقط فيها إلا بضعة أشخاص، ومنها أيام وقعت في عدة سنين كانت تثار فيها الحرب حيناً تتجدد المناسبات، وتنتهي بتسوية يتفق فيها على دفع ديات القتلى وإنهاء المشكلات التي كانت السبب في إثارة تلك الحرب، فإذا ما انتهت، بقيت القبيلة المنتصرة تفتخر بيومها وبأيامها، وبأسماء أبطالها الذين رفعوا اسمها فيها. وطالما جرى التباهي والتفاخر القبائل إلى حرب جديدة، بسبب جواب قد يصدر من سفيه عابث لا يرضيه سماع ذلك الفخر، أو من قبيلة مغلوبة لم يكن من السهل عليها أو على أفرادها سماع هذا الكلام.

والناب من هذه الأيام، معلود عند بعض العلماء محدود. وقد حصرها (أبو عبيدة) في الأيام الكبيرة العظيمة، التي ساهم فيها عدد كبير من الفرسان. وجعلها: يوم الكلاب، ويوم ربيعة، ويوم جيلة، ويوم ذي قار^١.

وأكثر أسباب هذه الأيام، هو عسف حكام القبائل القوية في القبائل الضعيفة الخاضعة لهم، بسبب الإتاوة التي كانوا يلحون في جبايتها غير مفكرين في الظروف والأوقات، أو بسبب نزاع على ماء ومرعى، أو أخذ بثأر، أو محاولة للتخلص من حكم القبائل على القبيلة بظهور شخصية قوية فيها، وأمثال هذه من أسباب، قد يكون بينها سبب تافه سخيف، يؤدي إلى إزعاج المتخاصمين بسبب التزعزعات العاطفية التي تغلب عند القبائل في غالب الأحوال على العقل.

والعادة أن يُعَنَّون اليوم باسم الموضع الذي حدثت فيه المعركة ، أو بالشئ البارز في تلك الحرب ، أو باسم القبائل التي اشتركت فيه . ومن هذه الأيام ما وقع بين قبائل قحطانية ، ومنها ما وقع بين قبائل عدنانية ، ومنها ما وقع بين قبائل قحطانية وقبائل يرجع النسابون نسبها الى مضر وربيعة ، وإلى معدّ ، وإلى عدنان ، فهي أيام وقعت إذن بين جاعتين هما في عرف النسابين من جدّين ، هما : قحطان وعدنان . وهما جدّا كل العرب الأحياء .

ومن الأيام التي وقعت بين القبائل القحطانية : يوم البردان ، ويوم الكلاب الأول وعين أباغ ويوم حليلة ويوم اليحامي ، وأيام الأوس والخزرج . وأما أيام القحطانيين والعدنانيين ، فنمّا : يوم البيضاء ، ويوم طخفة ، ويوم أواراة الأول ، ويوم أواراة الثاني ، ويوم السلان ، ويوم خزار ويوم حجر ، ويوم الكلاب الثاني ، ويوم فبف الرياح ، ويوم ظهر الدهناء^١ .

وأما الأيام التي وقعت بين القبائل العدنانية ، فنمّا ما وقع بين قبائل ربيعة فيما بينها ، ومنها ما وقع بين ربيعة وتميم ، ومنها ما وقع بين قبائل قيس فيما بينها ، ومنها ما وقع بين قيس وكنانة ، ومنها ما وقع بين قيس وتميم ، ومنها أيام ضبة وغيرهم^٢ .

وهناك أيام وقعت بين العرب والفرس مثل يوم الصفقة ويوم ذي قار .

وقد تحدّثت عن الأيام التي وقعت بين القبائل القحطانية ، وعن الأيام التي وقعت بين العرب والفرس في الأماكن المناسبة الخاصة بها . فلست أجد حاجة هنا إلى الكلام عليها مرة ثانية ، وسأقتصر هنا على الأيام الأخرى^٣ .

والأيام بين ما يسمى بالقبائل العدنانية أكثر بكثير من الأيام التي وقعت بين القبائل القحطانية ، وسبب ذلك هو أنها أكثر بداءة وأعرابية من القبائل الثانية ، وأن من طبع البداءة : الفردية والخصومة والتنازع والتحاسد ، بسبب ضيق العيش وقلة المال وتحوّل القبائل من مكان إلى مكان وراء الماء والكلاء . لذلك قلّ اجتماع العدنانيين تحت رئاسة رئيس واحد ، وتقاتلوا وتخاصموا ، وفضلوا الخضوع لحكم

١ أيام العرب (ج وما بعدها)
٢ أيام العرب (د وما بعدها)
٣ المحبر (٢٤٦)

رئيس بعيد عنهم على الخضوع لرئيس منهم ، لأن النفسية الأعرابية ترى في خضوع أعرابي لأعرابي من جنسه استكانة ومذلة. أما خضوعها لحكم غريب عنها ، فليس فيه شيء من ذلك ، ولهذا خضعت للملوك المناذرة أو الغساسنة أو لكندة أو للتبابعة ، ونفرت من الخضوع لرئيس عدناني لعقدة التنافس والتناحر بين ذوي القربى .

والقبائل العدنانية ، قبائل خشنة شديدة المراس ، القتال عندها طبيعة ، ولو اتحدت وجمعت كلمتها ووحدت أمرها ، لكانت قوة لا تغلب ، ولكنها ، وهي على هذه الصفة من التخاذل والتنافر ، صارت خاضعة لحكم القحطانيين ، وأخصتهم التبابعة على ما يذكره الرواة . فكانوا يعينون عليهم حكاماً وينصبون عليهم أمراء منهم ، بل يذكر أهل الأخبار أن العدنانيين كانوا يذهبون هم أنفسهم إلى أولئك التبابعة أحياناً يطلبون منهم تنصيب شخص منهم ، أو تعيين أمير عليهم من أصحاب المنزلة والمكانة ، لأنهم سئموا من القتال والتشاحن ، بقوا على ذلك دهرأ حتى سئموا حكم التبابعة والقحطانيين لهم ، فثاروا عليهم كما يذكر أهل الأخبار .

وسأقتصر في هذا الفصل على الأيام المهمة التي كان لها في شؤون السياسة القبلية شأن وخطر . أما الأيام الصغيرة التي لم يكن لها شأن يذكر ، فأدع الحديث عنها إلا بقدره . وأما الحامل منها ، فسأتترك أمره إلى كتب الأخبار والأدب ، لعدم وجود مكان لها في حديثنا العام عن تاريخ العرب قبل الاسلام .

ومن أمهات الأيام التي وقعت بين القحطانيين والعدنانيين : يوم طخفة ، ويوم أواره الأول ، ويوم أواره الثاني ، ويوم السلان ، ويوم خزاز ، ويوم حجر ، ويوم الكلاب الثاني ، ويوم فيف الريح ، ويوم ظهر الدهناء . وقد تحدثت عن بعضها في أثناء كلامي على ملوك الحيرة أو الغساسنة ، وسأتحدث عما لم أتناوله من قبل .

ومن الأيام التي وقعت بين قبائل قحطانية وقبائل عدنانية ، يوم يسمى بـ (يوم البيضاء) (البيضاء) وكان سببه مجيء ملنجج ، وهي قبيلة قحطانية من اليمن ، قاصدة متسعة من الأرض وموطناً جديداً صالحاً ، فاصطدمت بقبائل معد النازلة بتهامة ، وتهامة هي موطن معد القديم في عرف أهل الأخبار ، فبرزت لها قبيلة

عدوان ورئيسها يومئذ عامر بن الظرب العدواني . جمع عامر هذا من كان في تهامة من قبائل معد، وهاجم ملحقاً فغلبها في موضع (اليضاء) . ويقول الأخباريون إن هذا اليوم هو أول يوم اجتمعت فيه معد تحت راية واحدة ، هي راية عامر ابن الظرب . وقد اجتمعت بعدها مرتين تحت راية واحدة : مرة تحت راية ربيعة ابن الحارث في قضاة، ومرة أخرى تحت راية كليب بن ربيعة^١ . فهذه المعركة هي من المعارك القديمة التي وقعت بين العدنانيين والقحطانيين على رأي الأخباريين . وعامر بن الظرب هذا ، رجل يعدّه الأخباريون من قدماء حكماء العرب وأئمتهم الذين تحاكم اليهم الناس ، وصارت أحكامهم سنة يتبعونها . وقد ذكر أهل الأخبار أنه أول من قرعت له العصا . ويرون في تفسير ذلك أنه كان قد كبر وهرم ، وكان الناس يأتون مع ذلك اليه ليحكموه فيما يقع بينهم من خلاف . فقال له أحد أولاده : « إنك ربما أخطأت في الحكم فيحمل عنك » ، فقال عامر : « فاجعلوا لي أمانة أعرفها ، فإذا زغت فسمعتها رجعت الى الصواب » : فجعلوا قرع العصا أمانة يتبهنه بها . فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه في البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة فيرجع الى الصواب^٢ .

ولأهل الأخبار قصص عن عامر ، فقد ذكروا أنه كان أول من جلس على منبر أو سرير وتكلم ، ولجلوسه على منبر، سمّوه ذا الأعواد ، ونسبوا اليه أحكاماً وحكماً وأقوالاً وعمراً طويلاً ، وعدّوه من الفصحاء البلغاء ، وجعلوا أقواله مضرباً للأمثال^٣ .

وأخذ رؤساء معدّ على عاتقهم الخروج على طاعة حكام اليمن ، أو من عينه هؤلاء الحكام عليهم، وذلك بعد ما تبين لهم من ضعف الحكم في اليمن ومن تقاثل المتنفذين فيها بعضهم مع بعض ، ومن تدهور الأحوال هناك . وكانت اليمن قد ولت (زهير بن جناب) زعيم كلب على قبائل معد . وكتب من قبائل قضاة، فوافقت معدّ على تعيينه وخضعت لحكمه ، وأخذت تؤدي الإتاوة له . وكان يخرج في حاشية لجمع الإتاوة ، فأصاب معداً ضيق شديد ، وأجذبت أرضهم ، فتأخروا عن الدفع ، فجاءهم زهير وألحّ في مطالبتهم ، فشكوا عجزهم، وطلبوا

١ ابن الأثير (٢٩٥/١) ، جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام (ص ٢٢٤) .
٢ ابن الأثير (٢٢٧/١) ، الأغاني (٣/٣) وما بعدها .
٣ المحبر (٢٣٧) وما بعدها .

لإمهاهم والتخفيف عنهم . فإ كان منه إلا أن منعهم النجعة والمرعى ، فنقموا منه ، وأصابهم من ذلك بلاء ، فغضب عليه رجل منهم من بني (تيم الله) ، اسمه زياة ، واندس اليه وهو نائم فطعنه ، وظن أنه قتله ، ورجع الى قومه فأخبرهم بخبره ، ولكن (زهيراً) لم يصب بسوء ، ونجا من الطعنة ، وكان قد أخذ أنفاسه ولم يتحرك حتى يوهم (زياة) أنه قتله ومات ، ثم أوعز الى حاشيته أن يعلنوا أنه مات ، وشاع خبر موته بين الناس ولكنه كان قد قرّر مع حاشيته الى قومه ، حيث جمع جمعهم ، ثم هجم بهم على بكر وتغلب، وقتلهم قتالاً شديداً أدى الى هزيمة بكر ، ثم الى هزيمة تغلب من بعدها، وأسر (كلياً) و (مهلهلاً) ابني ربيعة ، وجماعة من أشراف تغلب . فتأثرت قبائل ربيعة من هذه الهزيمة ، وعينت (ربيعة بن مرة بن الحارث بن زهير التغلبي) ، والد (كليب) و (مهلهل) رئيساً عليها ، فحمل ربيعة ومن انقاد اليه على زهير ، واسترجع الأسرى، ولكن زهيراً لم يلبث أن عاد إلى ما كان عليه من جمع الإتاوة من معد^١ .

وإذا أخذنا برأي الأخباريين القائلين إن تعيين زهير بن جناب على بكر وتغلب ابني وائل كان بأمر أبرهة الذي غزا نجداً ، وتوسع فيها ، فجاءه زهير ليتقرب اليه ، وليعينه على بعض القبائل ، يكون حكم زهير على هذا القول في القرن السادس للميلاد^٢ .

وفي عهد رئاسة (كليب بن ربيعة) ، جددت قبائل ربيعة محاولاتها للتخلص من حكم اليمن ، وكان (كليب) شخصية قوية ، فاخترته قبائل معد رئيساً عليها ، واجتمعت تحت لوائه ، والتقت باليمن في (يوم خزاز) ، فانتصرت معد فيه ، وعدت من أيامها الكبرى قبل الاسلام^٣ . ونظرت معد إلى كليب نظرة تجلة واحترام ، وجعلت له قسم الملك وتاجه وطاعته ، لأنه وحدهم وأنقذهم من

١ المحبر (٢٤٩) ، ابن الأثير (٢٣٨/١) .

٢ ابن الأثير ، الكامل (٢٠٥/١) .

٣ (خزاز) ورد أيضاً (خزازي) ، العقد الفريد (٩٧/٦) (تحقيق العريان) ابن رشيق ، العمد (٢١٢/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، تحت (باب ذكر الوقائع والايام) .

تعسف اليمن بهم^١ .

وقد داخل (كليب بن ربيعة) زهو شديد بعد هذا النصر ، وبعد سيادته بني معد ، فبغى على قومه ، وصار يتعسف في احماء الحمى ، فلا يرعى حماه أحد ، ولا يصاد فيه ولا تَرَدُّ لابل مع لبله ، ولا توقد نار مع ناره ، وبقي كذلك حتى قتله (جسّاس بن مرّة الوائلي) ، فتوالت الحروب بين تغلب وبكر وائل بسبب ذلك^٢ .

وقد اختلف الأخباريون في هذا اليوم ، واختلفوا في اسم قائد قبائل معد فيه ، واختلفوا في اسم ملك اليمن الذي في عهده وقع ، واختلفوا في زمن وقوعه ، وفي سببه ، فقالوا : إن رئيس معد فيه هو (كليب بن ربيعة) ، وقالوا : بل هو زُرارة بن عدس ، وقالوا : لا ، وإنما هو ربيعة بن الأحوص بن جعفر . ويذكر بعضهم أنه وقع بعقب يوم السلّان، وأنه كان لجموع ربيعة ومضر وقضاعة على منحج وغيرهم من اليمن^٣ .

وذكر جماعة من أهل الأخبار ، أن (الأحوص بن جعفر بن كلاب) ، كان على نِزار كلها يوم خزاز ، ثم ذكرت ربيعة أخيراً من الدهر أن كليياً كان على نزار . وتوسط جماعة بين الرأيين ، فقالت : كان كليب على ربيعة ، وكان الأحوص على مضر^٤ .

وسبب اختلافهم في ذلك هو دور العصبيات القبلية ، والتزعّات العاطفية عند الرواة . ذكر أهل الأخبار أن جماعة من وجوه أهل البصرة ، كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاحرون ويتنازعون في الرياسة يوم خزاز ، فتعصب كل قوم لرئيس من الرؤساء الذين ذكروا . وقد تحاكموا إلى (عمر بن العلاء) وكانوا في مجلسه ، فقال : ما شهدا عامر بن صعصعة ولا دارم بن مالك ، ولا جُشَم بن بكر ، اليوم أقدم من ذلك . ولقد سألت عنه ، فما وجدت أحداً من القوم يعلم من رئيسهم ومن الملك^٥ . وقد أنكر بعضهم أن يكون لكليب بن ربيعة دور

١ ابن الأثير (٢٣٨/١) ، صبيح الأعشى (٣٩/١) .

٢ صبيح الأعشى (٣٩١/١) .

٣ العمدة (٢١٢/٢) ، المحبر (ص ٢٤٩) ، العقد الفريد (٩٨/٦) (طبعة العربيان) .

٤ البلدان (٤٣٨/٣) وما بعدها ، العمدة (٢١٢/٢) (محمد محيي الدين عبد الحميد) .

٥ العقد الفريد (٩٧/٦) وما بعدها ، نهاية الأرب (٤٢٠/١٥) .

بارز فيه . والظاهر أن روايات الرواة عن هذا اليوم ، وهي شفوية بالطبع ، كانت متضاربة تضارباً كبيراً بسبب بعد عهد ذاكهم عنه ، كما كانت متنافرة بسبب العواطف والنزعات القبلية ، وتعصب كل راوٍ لقييلته . فلما جاء مدوّنو الأخبار لجمع ما في حافظة رواة القبائل عن هذا اليوم ، وجدوا اختلافاً كبيراً ، حاولوا جهد امكانهم التوفيق بينه ، واستخراج قصة موحدة عنه ، فجاءوا بهذا الذي جاؤوا به .

وترجع رواية من روايات أخبار هذا اليوم ، سبب وقوعه الى جباية أهل اليمن لقبائل معدّ . (كان الرجل منهم يأتي ، ومعه كاتب وطفسة يقعد عليها ، فيأخذ من أموال نزار ما شاء ، كعمال صدقاتهم اليوم ، وكان أول يوم امتنعت معد عن الملوك : ملوك حمير)^١ . فلما ضجرت نزار وبقيّة قبائل معد من هذه الجباية القاسية ، ومن هذا التعسف ، هاجت على اليمن ، وأعلنت عصيانها على القحطانيين ، فوقع هذا اليوم . أوقدت ناراً على خزاز ثلاث ليال ، ودخنت ثلاثة أيام . فلما أحست معدّ حرج باجتماع (معد) ، سارت على نزار ومن انضم اليها من معد ، فوقع يوم خزاز .

وجاء في رواية أخرى ، ان سبب هذا اليوم هو احتباس ملك من ملوك اليمن أسرى من مضر وربيعة وقُضاعة ، وامتناعه عن فك أسرهم ، وذلك في عهد (كليب) . فجاءه وفد من بني معد فيهم : سدّوس بن شيبان بن ذهل ، وعوف بن محلم بن ذهل بن شيبان ، وعوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة ، وجشم بن ذهل بن هلال . فلقبهم رجل من بهراء يسمى عبيد بن قُرَاد ، وكان في الأسر وكان شاعراً ، فسألهم أن يدخلوه في عدّة من يسألون . فكلّموا الملك فيه وفي الأسرى ، فوهبهم لهم ، وأبقى الملك بعض أفراد الوفد رهائن حتى يأتي الباقيون برؤساء قومهم ليأخذ عليهم موائيق الطاعة . فرجع الباقي إلى قومهم وأخبروهم الخبر ، فاجتمعت ربيعة ومعد تحت راية (كليب بن ربيعة) (كليب وائل) ، فسار معه (السفاح التغلبي) وهو سلمة بن خالد بن كعب ابن زهير بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن تغلب ، وقد جعله (كليب) على مقدمة معد ، وأمر (كليب) أن توقد النار على خزاز ، ليهتدوا

١ العقد الفريد (٩٧/٦ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٤٢٠/١٥ وما بعدها) .

بها . فلما سمعت مذبح باجتماع ربيعة ، استعدت هي ومن يليها من قبائل اليمن للقتال ، وساروا اليهم . فلما سمع أهل تهامة بذلك انضموا الى ربيعة ، وساروا كلهم الى خزاز . فلما التقى الطرفان ، اقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت مذبح شر هزيمة فيه^١ .

ولياقوت الحموي رواية أخرى في سبب وقوع هذا اليوم ، فهو يقول إن مضر وربيعة اجتمعت على أن يجعلوا منهم ملكاً يقضي بينهم، فكل أراد أن يكون منهم، ثم تراضوا أن يكون من ربيعة ملك ومن مضر ملك، ثم أراد كل بطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتفقوا أن يتخذوا ملكاً من اليمن ، فطلبوا ذلك الى بني آكل المرار من كندة ، فلكوا أولاد الحارث بن حجر الكندي عليهم ، ثم ما لبثوا أن ثاروا عليهم وقتلوه ، فكان حديث يوم الكلاب . ولم يبق من ولد الحارث غير سلمة ، فجمع جموع اليمن وسار ليقبض نزاراً ، وبلغ ذلك نزاراً فاجتمع بنو عامر وبنو وائل ، وتغلب وبكر ، وبلغ الخبر كليب وائل ، فجمع ربيعة ، وقدم على مقدمته السفاح التغلبي ، فكان يوم خزاز، وقد انتصر بنو نزار فيه على القبائل اليمانية^٢ . وهذه الرواية قريبة جداً من رواية (اليعقوبي) عن هذا اليوم^٣ .

وقد أشار (عمرو بن كلثوم التغلبي) الى هذا اليوم ، وافتخر به ، كما افتخر بـ (كليب وائل) ، وذكر أن قومه أعانوا نزاراً في محاربتهم اليمن في ذلك اليوم^٤ . وذكر بعض أهل الأخبار أنه (لولا عمرو بن كلثوم ما عُرف يوم خزاز)^٥ . وذلك لذكره له في شعره .

وقد ذكر هذا اليوم عدد آخر من الشعراء منهم (زهير)^٦ .

- ١ ابن الأثير الكامل (٢٤٣/١) (٣١٢/١) ، النقائض (١٠٩٣) (بيفان) ، العقد الفريد (٢٤٥/٥) ، ابن الأثير (٣١٠/١) (المنيرية) ، نقائض جرير والفرزدق (٤٥٢) ، الجمحي ، الطبقات (٣١) ، العقد الفريد (٣٦٤/٣) ، أيام العرب (١٠٩) .
- ٢ البلدان (٤٢٨/٣) وما بعدها ، أيام العرب (١٠٩ وما بعدها) .
- ٣ اليعقوبي (١٨٤/١) .
- ٤ شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٣٠) ابن الأثير الكامل (٣١٢/١) .
- ٥ البكري ، معجم ما استعجم (٤٩٦/٢) (باب حرف الخاء) العقد الفريد (٩٧/٦) وما بعدها .
- ٦ شهدت الواقدين على خزاز وبالسلان جمع ذا ثواء البكري ومعجم (٤٩٦/٢) .

والسفاح التغلبي ، وهو سلمة بن خالد من الجرارين للجيش ، وقد قاد قومه يوم كاظمة ، وقيل له السفاح لأنه سفح المزاد أي صبها في ذلك اليوم حتى يقاتل قومه قتال المستमित ، وكان من خطباء حرب بكر وتغلب^١ .

وذهب بعض أهل الأخبار إلى أن يوم خزاز هو (أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهلية)^٢ . وهو رأي يعبر عن وجهة نظر العدنانيين بالطبع . ففي هذا اليوم انتصرت نزار ومن انضم إليها من قبائل مَلَحَج ومن انضاف إليها من قبائل اليمن ولم يسبق لقبائل نزار، وهي مضر وربيعة وبقية معدّ أن تغلبت على القبائل الكبرى المنظمة المنتمة إلى اليمن . فكان يوم نصرها هذا من أعظم الأيام عندها ، بعث فيها روح المقاومة والاعتماد على النفس في مقاومة القبائل القوية التي تنسب نفسها إلى اليمن .

وإذا أخذنا برأي القائلين إن يوم خزاز كان عقب يوم السلان ، يكون هذا اليوم قد وقع أيام النعمان بن المنذر ، أي في أواخر أيام المناذرة وفي النصف الثاني من القرن السادس للميلاد ، إذ يذكر الأخباريون أن سبب وقوع يوم السلان هو أن بني عامر بن صعصعة كانوا قوماً حمساً ، أي متشددين في دينهم ، لقاحاً لا يدينون للملوك . وكان من عادة النعمان بن المنذر أن يجhez كل عام لطيمة لتباع بعكاظ ، فتعرض لها بنو عامر ، فغضب النعمان ، وبعث عليهم وبرة الكلي أخاه لأمه ومعه الصنائع والوضائع وجاعة من بني ضبة بن أد والرباب وتميم ، وانضم إليهم ضرار بن عمرو وأولاده ، وهم فرسان شجعان ، وحيش ابن دلف ، وطلب منهم أن يذهبوا إلى عكاظ فإذا فرغوا من البيع ، وانسلخت الأشهر الحرم ، قصدوا بني عامر بنواحي السلان .

فلما فرغوا من عكاظ ، علمت بخطتهم قريش ، وأرسل عبدالله بن جُدعان قاصداً أخبر بني عامر بغرض القوم ، فحذروا وتهاؤا للحرب ، وتحزوا ووضعوا العيون ، وسلموا قيادتهم لفارس شهير معروف هو عامر بن مالك المعروف بملاعب الأستة . فلما التقوا تغلبوا على قوة النعمان وهزموها ، وأخذوا وبرة أسيراً . ولم يفكوه من أسره إلا بألف بعير وفرس^٣ .

١ الاشتقاق (ص ٢٠٣) ، المحبر (ص ٣٠٠) .

٢ البلدان (٤٢٨/٣) وما بعدها .

٣ البلدان (١٠٤/٥) ، (يوم السلان) ، ابن الأثير ، الكامل (٢٦٨/١) .

ويدخل يوم الكلاب الثاني في عداد هذه الأيام . وقد وقع عقب يوم الصفقة ، وقع بين تميم وبني سعد والرباب وبين منحج ومن التف حولها من قبائل اليمن . فلما بلغ منحج ما حل بتميم بالمشقر وبهجر بعد الصفقة ، وما سمعته من تخوفهم من انتقام كسرى مرة ثانية منهم ومن دوران العرب عليهم ، مشى رجال منحج بعضهم الى بعض ، وقالوا : اغتصموا بني تميم ، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاة ، ثم سألت منحج كاهنها المأمور (الحارثي) في أمر هذا الهجوم فتهاها ، ولكنها لم تأخذ برأيه ، بل سارت طامعة في تميم ، وقد جمعت اثني عشر ألف مقاتل ، من منحج وهمدان وكندة : وهو أعظم جيش أخرجه العرب كما يقول علماء الأخبار^١ . وكان من رجالهم يزيد بن عبد المدان ، ويزيد ابن المخرم ، ويزيد بن الكيشم (الكيسم) (اليكسم) بن المأمور (المأموم) ، ويزيد بن هوبر . وهم كلهم حارثيون ، ومعهم عبد يغوث الحارثي ، وأقبلت بنو سعد والرباب . ورئيس الرباب النعمان بن جساس ورئيس سعد بن قيس بن عاصم ، والتقت في أوائل الناس بمجموع منحج وهمدان وكندة ، واختلطوا واقتتلوا قتالاً شديداً انتهى في آخر النهار بمقتل (النعمان بن جساس) . وقد دفع مقتله بني تميم على الثبات والوقوف للأخذ بالتأثر ، حتى تمكنت من الانتقام لنفسها ، بأن انتصرت على اليمن . فأسر (عبد يغوث بن وقاص الحارثي) ، (عبد يغوث ابن صلاة الحارثي) سيد (بني الحارث) ، وقتل خمسة من أشرف اليمن ، وأخذت الرباب (عبد يغوث) وقتلته بقتل (النعمان بن جساس) . وهكذا انتهى هذا اليوم بفوز بني تميم . وكان رئيسها في هذا القتال : قيس بن عاصم . ويسمى الكلاب الثاني : يوم جز الدواب^٢ . ودعاه (ابن رشيقي القيرواني) بـ (يوم الشعبية)^٣ .

ونعت بعض أهل الأخبار اليزيديين الأربعة المذكورين وهم قادة القوم : يزيد ابن هوبر ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المأموم ، ويزيد بن المخرم ،

- ١ (فلا يعلم جيش في الجاهلية كان أكبر منه) ، العقد الفريد (٧٨/٦ وما بعدها) .
- ٢ النقائض (٤٥٢/١ وما بعدها) (بيفان) العقد الفريد (٧٨/٦ وما بعدها) ، البكري ، معجم ما استعجم (١١٣٢/٤) ، النقائض (١٠٧٥/٢) ، ابن الأثير الكامل (٣٧٩/١) ، العقد الفريد (٢٢٥/٥) ، نهاية الأرب (٤٠٦/١٥ وما بعدها) .
- ٣ العمدة (٢٠٦/٢) .

ب (أربعة أملاك)^١ . ويدل ذلك على أنهم كانوا يلقبون بلقب ملك ، وأن (بني الحارث) كانوا قد نصبوهم عليهم ، وإن كان لقب (ملك) لا يتجاوز في الواقع لقب (شيخ) في عرف هذا اليوم .

وكان من أبرز رجال تميم في هذا اليوم سبعة من رؤسائهم ، هم : أكم بن صيفي ، والأحيمر (الأعيمر) بن يزيد بن مرة المازني ، وقيس بن عاصم المقرئ ، وأبهر بن عصمة التيمي ، والنعمان بن جساس (الحساس) التيمي ، وأبين بن عمرو السعدي ، والزبرقان بن بدر السعدي^٢ . وبرز فيه اسم (مصاد بن ربيعة بن الحارث) و (عصمة بن أبهر التيمي) وهو الذي أسر (عبد يغوث) و (قبيصة بن ضرار الضبي) ، وهو الذي شدّ على (ضمرة بن لبيد الحامسي الكاهن) فطعنه وخرّ صريعاً، فقال له قبيصة : ألا أنباك تابعك بمصرعك اليوم^٣ .

وأما (الكلاب الأول) ، فكان لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور، ومعه : بنو تغلب والنمر بن قاسط ، وسعد بن زيد مائة والصنائع ، على أخيه (شرحيل ابن الحارث بن عمرو) ، ومعه بكر بن وائل بن حنظلة بن مالك ، وبنو أسد، وطوائف من بني عمرو بن تميم ، والرباب . فقتل (شرحيل) ، قتله (أبو حنش عاصم بن النعمان الجشمي) ، ويقال : بل قتله (ذو النينة حبيب ابن عتبة الجشمي)^٤ .

ومن هذه الأيام يوم (فيف الريح) ، وهو موضع بأعلى نجد ، وقع بين مذحج وعامر . وسببه أن (بني عامر) كانوا يطلبون (بني الحارث بن كعب) بأوتار كثيرة ، فجمع لهم الحصين بن يزيد الحارثي ، وكان يغزو بمن تبعه من قبائل مذحج وأقبل في بني الحارث وجعفي ، وزيد ، ومراد ، وقبائل سعد العشرة ، ومراد ، وصداء ، ونهد ، واستعانوا بقبائل خثعم وعليهم أنس بن مدرّك ، فخرج شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مدرّك ، وأقبلوا يريدون بني عامر ، وهم متجعون (فيف الريح) ، ومع مذحج النساء والذراري ، حتى لا يفرّوا ، إمّا ظفروا وإمّا ماتوا جميعاً . فاجتمعت بنو عامر كلها الى

١ نهاية الأرب (٤٠٨/١٥) .

٢ نهاية الأرب (٤٠٧/١٥) ، أيام العرب (١٢٤) .

٣ نهاية الأرب (٤١٠/١٥) .

٤ العمدة (٢٠٦/٢) (ط٠ محمد محيي الدين عبد الحميد) .

عامر بن الطفيل (عامر بن مالك ملاعب الأسنة) ، والتقى الجمعان في قتال لم يعط نصراً ينياً لأحد الطرفين ، إذ وقع القتل في الفريقين ، ولم يستقل بعضهم عن بعض غنيمة ، وكان الصبر والشرف لبني عامر . ومن قتل أو جرح فيه : الصمّيل بن الأعور الكلابي ، وحسيل بن عمرو الكلابي ، وخليف بن عبد العزى النهدي ، وكعب الفوارس بن معاوية بن عبادة بن البكاء ، وعامر بن الطفيل^١ .

ومن أيام القحطانيين مع العدنانيين (يوم ظهر الدهناء) . كان أوس بن حارثة بن لأم سيداً في قومه طيء ، مطاعاً فيهم ، جواداً معروفاً . حباه النعمان ابن المنذر حلة على العادة المتبعة عند ملوك الحيرة في تكريم الرؤساء الذين يفدون عليهم ، وفضله على غيره ، بأن طلبه وكان غائباً دون قوم من السادة الأشراف ، فاغتاظ حساده من ذلك وأوعزوا الى بعض الشعراء بهجائه ، فهجاه بشر بن أبي خازم وهو من بني أسد ، وأسرف في هجائه ، فاغتاظ أوس من ذلك ، وجمع قومه من طيء ، وأوقع بيني أسد بظهر الدهناء ، وقتل منهم قتلاً ذريعاً ، فانهزمت منه ، وهرب بشر ، فجعل لا يأتي حياً يطلب جوارهم إلا امتنع من إجارته على أوس الى ان التجأ الى أم أوس ، فأجارته ، وأجاره أوس عندئذ ، وعفا عنه ، ومن عليه وأعطاه وجباه ، فانقلب مادحاً له^٢ .

والأيام التي ذكرها الأخباريون عن حروب العدنانيين مع ملوك اليمن للحصول على استقلالهم ، قليلة . ولا يعني حكم اليمن للعدنانيين أن تبابعة اليمن كانوا يحكمون تلك القبائل حكماً مباشراً ، وانما هو في الواقع وكما يظهر من غرابة هذه الروايات حكم كان يتسع ويتقلص تبعاً لقدرة الحكام وشخصياتهم ، ولاتفاقاتهم مع سادات تلك القبائل ، ولأن القبائل العدنانية هي قبائل بدوية في الغالب لا تستقر على حال ، ومن طبع البداوة التنازع والتخاصم . ثم إن سادات القبائل كانوا كما هو شأنهم في كل وقت متنافسين متخاصمين ، لذلك وجد ملوك اليمن ، وهم ملوك

١ الميداني (٣٠٨/٢) ، الأغاني (٢١/٥) ، البلدان (٤١٣/٦) ، النقاظ (٤٦٩) ، العقد الفريد (٣٥٩/٣) ، ذيل الأمازي (١٤٦) ، أيام العرب (١٣٢) ، نهاية الأرب (٤١٤/١٥) العملة (٤١٣/٢) .
٢ راجع ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠ ، ابن الأثير الكامل (٢٦٢/١) ، بلوغ الأرب (٨٤/١) ، ابن الأثير (٢٨٢/١) ، الشعر والشعراء (٨٦) ، أيام العرب (١٣٧) وما بعدها .

شعب أكثره مستقرة ، من السهل عليهم التدخل في شؤون تلك القبائل بتأييد هذا الرئيس على منافسه ، وبتعيين رئيس من رؤساء القبائل الكبيرة على قبيلة أو جملة قبائل أخرى ضعيفة أو متخاصمة ، لتهيئة الحال وقرار الأمن . فصار من العادة بين القبائل العدنانية ، بل بين القبائل القحطانية كذلك ، أو بين كبار سادات القبائل ، أن يلجأوا الى التبابعة للتدخل في الخصومات وقرار الأمن بالحكم بين المتخاصمين ، أو بتعيين رجل محترم كبير من اليمن أو من غير اليمن عليهم. ونجد بين روايات الأخباريين روايات تؤيد هذا الرأي .

ويدخل الأخباريون في أيام العدنانيين مع القحطانيين الأيام التي وقعت بين القبائل العدنانية وبين ملوك الحيرة لاعتدادهم من قحطان . وكذلك يدخل أهل الأخبار في أيام القحطانية مع العدنانية الأيام التي وقعت بين ملوك بني سليح والغساسنة من بعدهم وبين القبائل العدنانية ، والأيام التي وقعت بين كندة وبين القبائل العدنانية .

وإذا أسلفت الكلام على أيام تلك الحكومات مع القبائل العدنانية في المواضع المناسبة ، فلاني أكفي بالإشارة إليها ، على أمل الرجوع الى تلك الأماكن لمن يريد الوقوف عليها .

أما أشهر أيام القحطانيين ، فالأيام التي وقعت بين المناذرة والغساسنة ، والأيام التي وقعت بين هؤلاء الملوك وملوك كندة وأمرائها ، ثم الأيام التي وقعت بين القبائل المنتسبة الى اليمن ، مثل الأيام التي وقعت بين الأوس والخزرج ، والأيام التي وقعت بين قبائل طيء ، وأمثال ذلك . ولما كنت قد تحدثت عن معظم هذه الأيام ، فسأكتفي بما تحدثت عنها ، وأتحدث عن النابه من بقية الأيام فقط مما لم أتحدث عنه سابقاً .

وتؤلف الأيام التي وقعت بين القبائل العدنانية الجزء الأكبر من أيام العرب ، وهي أهمها وأغناها بالشعر والأمثال والقصص . وكان لتمييز وبكر وتغلب أثر خطير فيها . وأشهر هذه الحروب ، الحرب المسماة بحرب البسوس ، وقعت بين بكر وتغلب ودامت أربعين عاماً على ما يذكره الأخباريون .

وتغلب وبكر هما من قبائل ربيعة ، لذلك تكون حرب البسوس من الحروب التي وقعت بين قبائل ربيعة ، لأن أيام العدنانيين هي أيام وقعت بين قبائل ربيعة وحدها ، وأيام وقعت بين قبائل من ربيعة وقبائل من مضر ، وأيام وقعت بين

قبائل مضر^١ .

وذكر بعض أهل الأخبار أن أشهر أيام بكر وتغلب ، خمسة أيام مشاهير .
أولها يوم عنيزة وتكافأوا فيه ، والثاني يوم واردات ، وكان لتغلب على بكر .
والثالث يوم الحنو ، وكان لبكر على تغلب . والرابع يسوم القصيمات ، وكان
لتغلب على بكر . والخامس يوم قِضة ، وهو آخر أيامهم ، وكان لبكر . وفيه
أسر مهلهل بن ربيعة^٢ .

وتولد من هذه الحرب قصص وشعر ، نسب الى أبطال الأيام التي وقعت
فيها ، وأمثلة ذكر أنها قيلت في المناسبات ، صارت على العادة أمثلة شائعة بين
الناس^٣ .

وليست حرب البسوس في الواقع حرباً واحدة ، إنما هي حروب عدة وقعت
في تلك المدة المذكورة وفي أوقات متقطعة الى أن انقطعت بوساطة المنذر بن ماء
الساء وتدخله بين الفريقين .

والذي أثار نيران هذه الحرب هو جساس بن مرة بن ذهل بن شيان أخو
(جليلة) امرأة كليب بن ربيعة سيد قبيلة تغلب ، وذلك بقتله كليياً ، لأنه أدمى
ضرع ناقة للبسوس خالة جساس ، إذ كانت ترعى في أرض حماها كليب ومنع
الرعي فيها إلا لإبله . وقد أثار عمل كليب هذا غضب جساس ، فقتله ، وثار
بذلك الحرب بين تغلب وبكر قوم جساس .

وكليب بن ربيعة ، أو (كليب وائل) كما يعرف عند بعض أهل الأخبار ،
هو وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو

١ المعارف (٦٠٥ وما بعدها) ، المختصر في أخبار البشر ، لابي الفداء (٩٥/١ وما
بعدها) ، الشعر والشعراء (٩٩ وما بعدها) ، العقد الفريد (٢١٣/٥ وما بعدها) ،
سبائك الذهب (١٠٥) ، مقامات الحريري (٢٦٠) ، الاغانى (١٣٩/٤ وما بعدها) ،
فرائد اللال في مجمع الامثال ، لابراهيم بن السيد علي الاحمد الطرابلسي ،
(٣١٩/١ وما بعدها) ، (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت) ، صبح الاعشى (٣٩١/١)
وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٣١٢/١) ، نهاية الارب (٣٩٦/١٥) .
٢ الشعر والشعراء (١٦٦) .

٣ الاغانى (١٤٠/٤ وما بعدها) ، أبو تمام ، الحماسة (٤٢٠ وما بعدها) ، مجمع
الامثال (٣٤٢/١) ، النقااض (٧٧٣) ، شيخو : شعراء النصرانية (١٥١ ، ١٦٠ ،
٢٤٦ ، ٢٧٠) ، نهاية الارب (٣٩٦/١٥ وما بعدها) ، ابن الاثير (٢٤١/١ وما
بعدها) .
ENCY. I, p. 674.

ابن غنم بن تغلب^١ . رجل صلب قوي ، تمكن بمواهبه وبقدرته من السيطرة على قبائل ليست السيطرة عليها بأمر سهل يسير ، ومن إقامة نفسه ملكاً عليها ، ومن أخذ الإتاوة من القبائل ، ومن الانتصار على قبائل اليمن في يوم خزاز . وبقي على ذلك دهرأ ، حتى داخله زهو شديد ، فأخذ يبغي على القبائل ويشط في أخذ الإتاوة منها وفي اتخاذ خيرة الأرضين المخصصة أحماء لا يجوز لإبل غيره الرعي فيها ، ولا الاستيلاء على مواضع الماء ، حتى ضجرت الناس منه ، فكانت نتيجته ما تقدم^٢ .

وأخذ المهلهل (واسمه علي بن ربيعة) ، وهو أخو كليب على نفسه عهداً بأن يترك النساء ، والغزل ، والقمار ، والشراب ، حتى يثأر بقتل أخيه ، وجمع قومه ، ووقعت حروب . ومهلهل هذا هو أول من حلل الشعر ، أي أرقه على حد رواية أهل الأخبار^٣ .

وقد أقام أصحاب (كليب) قبة رفيعة على قبره ، تكريماً له^٤ . شأن الجاهليين في ذلك الزمن من إقامة القباب على قبور الكبار . وفي جملة الأيام التي يدخلها أهل الأخبار في حرب البسوس : يوم النهي ، ويوم الذنائب ، ويوم واردات ، ويوم عنيزة ، ويوم القصصيات ، ويوم تحلاق اللمم^٥ .

وكما كان كليب سيد تغلب ، كذلك كان زهير بن جذيمة العبسي سيد قيس عيلان . وقيس عيلان قبائل كبرى عديدة ، كان لها شأن بين القبائل وخطر ، ترأس غطفان ، وقادها كلها وساد على عبس وذبيان ، ولمكانته هذه ولسؤده تزوج إليه النعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة ، فتوسع بذلك نفوذه وعظمت منزلته عند القبائل ، ولا سيما القبائل المتصلة به والقبائل الخاضعة للملك الحيرة .

-
- ١ للاخباريين أقوال في سبب تسميته بكليب ، راجع عن ذلك : الكامل ، لابن الاثير (٢١٤/١) ، الاشتقاق (ص ٣٠٤) .
 - ٢ ابن الاثير (٢١٤/١ وما بعدها) ، العقد الفريد (راجع فصل أيام العرب) ، النقائض (٩٠٥ وما بعدها) ، الميداني (٢٥٤/١) ، خزانة الادب (٣٠١/١ وما بعدها) .
 - ٣ نهاية الارب (٣٩٨/١٥ وما بعدها) .
 - ٤ أيام العرب (١٦٥) .
 - ٥ ابن الاثير (١٨٣/١) ، العقد الفريد (٣٤٨/٣) ، البلدان (١٣٩/١) ، الاغانى (٣٢/٥) ، مجمع الامثال (٣٤٢/١) ، خزانة الادب (٤٢٥/١) ، أيام العرب (١٤٢) .

واتفق ان أحد أولاد زهير - واسمه شأس - كان عائداً من زيارته للنعمان
ومعه هدايا ثمينة والطفاف فاخرة حباه بها النعمان ، فطمع به رجل من غنيّ اسمه
(رباح بن الأسك الغنوي) وقتله بموضع منعج . فلما علم بذلك أبوه ، أخذ يقتل
كل من وقعت عليه يده من غنيّ . وغزت بنو عيس غنيّاً ومعها الحصين بن
زهير آخر شأس ، فطلبت غنيّ من رباح ترك أرضها والارتحال عنها ، وصار
هذا القتل سبباً لإثارة البغضاء بين عيس وغنيّ لما أوقعه زهير بغنيّ من القتل^١ .
ويوم منعج ويسمى أيضاً بـ (يوم الردمة)^٢ ، من الأيام التي وقعت بسين
قبائل قيس . ومن هذه الأيام : يوم التفراوات (التفرات) ، ويوم بطن عاقل
وداحس والغبراء ، والرقم ، والتناة ، وحوزة الأول ، وحوزة الثاني ، واللى^٣ .
وكان زهير يأخذ الإتاوة من هوازن كرهاً ، تدفعها إليه كل عام بسوق عكاظ
وهي مكرهة . وكانت هوازن تعترف بسيادته عليها وتعتبره رباً ، وهي يومئذ
لا خير فيها ، وإنما هي رعاة الشاء في الجبال . فإذا كانت أيام عكاظ أتاهما
زهير ، ويأتيها الناس من كل وجه ، فتأتيه هوازن بالإتاوة التي عليهم ، فيأتونهم
بالسمن والأقط والغنم ، ثم اذا تفرق الناس نزل بالتفراوات . فلما كان الدفع ،
ذهب زهير على عادته لأخذ الإتاوة ، انتهز (خالد بن جعفر بن كلاب) هذه
الفرصة ، فذهب الى هوازن ، وحرصها على زهير . فلما بلغ زهير أطراف بلاد
هوازن ، باغته خالد بن جعفر ومعه جمع من هوازن ، فقتل زهير ، ورجع
به أبناؤه الى بلادهم ليدفنوه . وقد عرف اليوم الذي قتل فيه زهير بيوم
التفراوات^٤ .

وعزمت غطفان على الأخذ بثأر زهير من خالد ، فخاف خالد على نفسه منها ،
وفرّ الى الحيرة ليستجير بالنعمان في رواية ، أو بالأسود بن المنذر في رواية أخرى .
عندئذ تعهد الحارث بن ظالم المريّ . وهو فاتك معروف ، لبني زهير بقتل خالد
إذا كفت غطفان عن هوازن . وقد برّ بوعده ، إذ اغتاله وهو في قبة كان

- ١ الاغانى (٨/١٠) ، مجمع الامثال (٢٦٨/٢) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٣٧/١) ،
نهاية الارب (٣٤٤/١٥) وما بعدها .
- ٢ نهاية الارب (٣٤٤/١٥) وما بعدها .
- ٣ أيام العرب (٢٢٩) .
- ٤ « التفرات » « التفراوات » ، نهاية الارب (٣٤٦/١٥) ، الاغانى (٨٤/١١) وما
بعدها ، (دار الكتب المصرية) ، العقد الفريد (٥/٦) وما بعدها .

النعمان قد أمر بتصبها له . وذلك بيطن عاقل ، فعرف اليوم به^١ . فلما علم بذلك النعمان ، أمر بطلبه ليقطله بجاره ، وأخذت هوازن تطالب به لتقتله بسيدھا خالد . فقرر الحارث الى بني دارم من تميم ، واستجار بضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن ، فأجاره ضمرة على النعمان وهوازن ، فكان ذلك سبباً لتجهيز النعمان جيشاً على بني دارم انتقاماً منها لتجاسرها على ايواء من يطلب قتله .

وورد في رواية أخرى أن لجوء (الحارث بن ظالم) كان الى (معبد بن زرارة) ، وأن بني تميم استاءت من لجوئه إليه ، لأنه أوى هذا المشؤوم الأنكد ، وأغرى بهم الأسود ملك الحيرة ، وخذلوه غير بني ماوية وبني عبدالله بن دارم^٢ .

وجاء في خبر أن (الحارث بن ظالم) كان عند (حاجب بن زرارة بن عدس بن عبدالله بن دارم) . وقد وعده النصرة والمنعة . وبلغ الأحوص بن جعفر الكلابي أخو خالد بن جعفر ، مكان الحارث بن ظالم ، فسار على تميم ، حتى أدركها بـ (حرحان) ، فاقتلوا اقتتالاً شديداً ، وانهزمت بنو تميم ، وأسر معبد بن زرارة ، أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب . فوفد لقيط بن زرارة في فدائه ، وعرض عليها مثنى بعير في فدائه ، فامتنعا قائلين : أنت سيد الناس ، وأخوك معبد سيد مضر ، فلا تقبل فيه إلا دية ملك . فأبى أن يزيدهم ، ورحل لقيط عن القوم ومنع بنو عامر معبداً عن الماء وضاروه حتى مات هزلاً^٣ . وورد في رواية انه أبى أن يطعم شيئاً أو يشرب حتى مات هزلاً^٣ .

وأمر النعمان جيشه بالتوجه الى بني دارم ، وانضم اليه الأحوص بن جعفر أخو خالد ، ومعه جمع بني عامر ، للانتقام من الحارث قاتل خالد . فعلمت بنو دارم بمجيء الجيش ، واستعدوا للقتال ، فلما التقى الجمعان ، قتلت بنو مالك ابن حنظلة (ابن الخمس التغلبي) رئيس جيش النعمان ، وصبرت بنو دارم ، وأقبل قبس بن زهير فيمن معه ، فانهزمت بنو عامر ، وانهزم جيش النعمان ، وعادوا الى ديارهم ، وكان رئيس بني دارم زرارة بن عدس سيد بني تميم .

١ نهاية الارب (٣٤٨/١٥) .

٢ نهاية الارب (٣٤٩/١٥) .

٣ العقد الفريد (٣٦٠/٣) ، الاغانى (٣٠/١٠) ، ابن الاثير (٣٤١/١) ، النقاظ (٢١٤/١) ، نهاية الارب (٣٤٩/١٥) وما بعدها .

وهناك روايات أخرى عن هذا الحادث وعن الحارث ذكرتها في الفصول السابقة^١.

وصارت الرئاسة الى قيس بعد مقتل والده (زهير بن جذيمة العبسي) ، ويصفه الأخباريون بمجودة الرأي وبحسن التجارب، ويقولون إنه لذلك عرف بـ (قيس الرأي) ، ويذكرون له في ذلك أقوالاً وحكماً ونصائح ، ويروون طائفة من ذلك ، ولا سيما مما قاله في مناسبات حرب داحس والغبراء .

ويذكر أهل الأخبار أن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي ، كان قد سار الى المدينة ليتجهز لقتال عامر ، والأخذ بثأر أبيه ، فأتى (أحيحة بن الجلاح) ليشتري منه درعاً موضونة ، فقال له : لا أبيعها ، ولولا أن تلمني بنو عامر لوهبته منك ، ولكن خذها بابت لبون . ففعل ذلك ، وأخذ الدرع ، ووهبه أحيحة أدراعاً ، وعاد قيس الى قومه ، فاجتاز بالربيع بن زياد العبسي ، فدعاه الى مساعدته على الأخذ بثأره ، فأجابه الى ذلك . فلما أراد فراقه، نظر الى عييته فقال : ما في حقيقتك ؟ قال : متاع عجيب، لو أبصرته لراعك، وأناخ راحلته ، وأخرج الدرع ، فأخذها ومنعها من قيس ، ولم يعطه إياها ، وترددت الرسل بينهما . فلما طالت الأيام على ذلك ، سیر قيس أهله الى مكة ، فأغار قيس على نعم الربيع ، واستاق منها أربع مئة بعير ، وسار بها الى مكة وباعها من عبدالله ابن جدعان واشترى بها خيلاً ، وتبعه الربيع فلم يلحقه ، فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء^٢ .

وقد اقترن اسم قيس بهذه الحرب الشهيرة التي يتناقل الناس قصصها الطريفة حتى اليوم ، وهي حرب ثارت بين عبس وذبيان بسبب اختلاف على سباق خيل كان قد تراهن عليه حذيفة بن بدر بن فزارة سيد ذبيان وقيس بن زهير ، اشتركت فيه خيار خيل قيس وحذيفة وفي مقدمتها داحس والغبراء والخطار والحنفاء . وقد ادعى كل واحد من المتنافسين أن فرسه كان السابق ، وأنه هو الكاسب للرهان في قصص طويل يتخلله شعر وكلام وجواب . وانتهى النزاع الى ما ينتهي اليه

١ ابن الاثير (٢٢٩/١ وما بعدها) ، الاغانى (١٠/٨) ، مجمع الامثال (٢٦٨/٢) ،

المعقد الفريد (٧/٦ وما بعدها) .

٢ ابن الاثير ، الكامل (٣٤٣/١ وما بعدها) .

كل نزاع من هذا القبيل ، وهي الحرب^١ .

وهي حرب استمرت سنين ، قتل فيها حذيفة بن بدر وعدة رؤساء، واشتركت فيها شيبان وضبة وأسد وغطفان وقبائل أخرى ، كما ساهم فيها ملك هجر ، وامتدت الى أن اتصلت بالاسلام . وللشاعر زهير بن أبي سلمى ذكر فيها . ولم تنته إلا بتوسط الرؤساء حيث سوّيت بدفع الديات ، وبإنهاء تلك الحرب التي شغلت تلك القبائل وأقلقّت الأمن لذلك السبب التافه على زعم قول الرواة^٢ .

وفي جملة حروب داحس والغبراء ، يوم العذق ، وهو ماء ، انهزمت فيه فزارة ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وأسر حذيفة ، فاجتمعت غطفان وسعت للصلح . فاصطالحوا على أن يهدم دم بدر بن حذيفة بدم مالك أخي قيس ، وتساووا فيما بقي ، فأطلق حذيفة من أسره .

ثم وقعت حرب أخرى ، مثل يوم (البوار) ، وكان الفوز فيه لعبس على فزارة وأسد وغطفان ، ويوم الهبابة ، ويوم الجراجر ، الى غير ذلك من أيام^٣ . ولامتداد هذه الحرب سنين عديدة ، وانتشارها خارج نطاق حدود قبيلتي عبس وذبيان ، شملت أرضين واسعة ، وتخللتها جملة أيام لها أسماؤها . وهي بالطبع كلها من أيام هذه الحرب : حرب داحس والغبراء .

وإذا قرأت قصة داحس والغبراء ، قرأت قصص شجاعة بطل مغوار أظهر

١ الاغاني (٨٦/١١ وما بعدها) (دار الكتب) (٢٤/١٦ وما بعدها) (١٢٣/١٧) (دار الثقافة ، بيروت) ، العقد الفريد (١٥١/٥) ، البلدان (٢٠٥/١) (بيروت) ، البكري معجم (١٣٩٦/٣) ، المعارف (٦٠٦) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٤٣/١) (الطباعة المنيرية) ، الاغاني (١٢٣/١٧) (دار الثقافة بيروت) ، المختصر في أخبار البشر ، لابي الفداء (٩٧/١) (دار الكتاب اللبناني) ، البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١٥٥/٣) ابن خلدون المجلد الثاني (٦٣٢) ، العقد الفريد (١٥٠/٥) (لجنة التأليف) ، اللسان (٧٧/٦) (بيروت ١٩٥٦ م) ، نهاية الارب (٣٥٦/١٥ وما بعدها) .

٢ ديوان عنتر بن شداد (ص ١٥١) ، التبريزي ، شرح ديوان الحماسة (٢٩٧/١) ، المعلقات السبع ، للزوزني (٨٩) ، الامثال (٥١/٢) ، العقد الفريد (٣١٣/٣) ، ابن هشام (١٨٢/١) ، ابن الاثير (٣٤٣/١ وما بعدها) (الطباعة المنيرية) ، نهاية الارب (٣٥٦/١٥) ، شرح ديوان عنتر (٨٣ وما بعدها) (عبد المنعم) شرح القصائد العشر ، للتبريزي (٢١٣) (مطبعة السعادة ١٩٦٤) ، ديوان زهير ابن أبي سلمى ، نهاية الارب (٣٥٦/١٥ وما بعدها ، الاغاني (٨٦/١١ وما بعدها) النقائض (٢٩٩/١) .

٣ ابن الاثير (٢٥٨/١ وما بعدها) .

شجاعة فائقة في هذه الحرب ، وكان له فيها شعر ، هو عترة بن شدّاد العبيسي . وقصص شجاعة عترة معروفة حتى اليوم، مشهورة ، يسميها الناس بشوق ورغبة ، وهي عندهم أشهر من قصص داحس والغبراء : هذه الحرب التي خلد اسمها هذا الشعر وأمثاله .

وفي يوم الرقم ، غزت بنو عامر غطفان وعليهم عامر بن الطفيل شاباً لم يرأس بعد ، فخرجت اليهم بنو مُرة بن عوف ، وأشجع ، وناس من فزارة، وكلهم من غطفان ، فقاتلوا بني عامر ، وتغلبوا عليهم . وفرّ عامر بن الطفيل، وشتق الحكم بن الطفيل نفسه ، ليتخلص بذلك من الأسر . ويروي الأخباريون لعروة ابن الورد وللناطقة الليثاني ولعامر بن الطفيل شعراً ذكروا أنهم قالوه في هذا اليوم^١ .

وقد منيت بنو عامر بهزيمة أخرى يوم التناءة ، وكانت قد خرجت الى غطفان تريد الأخذ بثأرها من هزيمة يوم الرقم ، فأغارت على نعم بني عبس وذبيان وأشجع فأخذوها ، فتعقبها عبس وأشجع وفزارة حيناً عادوا بالغنائم ، والتحموا بها ، وأوقعوا بها هزيمة كبيرة ، وقتلت كثيراً منهم ، ونجا عامر بن الطفيل بفرسه المشهور المسمى الورد^٢ .

وقد منيت بنو عامر بهزيمة أخرى يوم شواحظ الذي وقع بين بني عامر وبني محارب بن خصفة ، وذلك حيناً أغارت جماعة من بني عامر على بلاد غسان^٣ .

ويعدّ عامر بن الطفيل من فرسان العرب المشاهير . وهو من المعاصرين للرسول ، وقد تعرّض لنفر من أصحاب رسول الله كان الرسول قد أرسلهم بناءً على رغبة (أبي براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب) ملاعب الأسنة . وكان سيد بني عامر بن صعصعة، وذلك ليعلموا أهل نجد الاسلام ويفقهوهم في الدين . وقد تعهد للرسول بأن يحميهم ، وأن يكونوا في جواره . فلما بلغ النفر (بشر معونة)

١ خزّانة الادب (٧٠/٣) ، المفضليات (ص ٣٠) ، العقد الفريد (٢٥/٦) ، (يوم الرقم) ، سبائك الذهب (١١٧) ، نهاية الارب (٣٦٤/١٥) .

٢ ابن الاثير (٣٩٥/١) ، الاغاني (٣١٣/١٠) ، العقد الفريد (٢٦/٦) ، نهاية الارب (٣٦٤/١٥) .

٣ العقد الفريد (٢٧/٦) ، نهاية الارب (٣٦٥/١٥) .

عدا عليهم (عامر بن الطفيل) فقتلهم ، واستاء من ذلك أبو براء^١ .
 ووقعت بين سليم وغطفان حرب بسبب مقتل معاوية بن عمرو بن الشريد
 السلمي ، يوم حوزة الأول . وكان سبب هذا اليوم تأثر معاوية من كلام امرأة
 من بني مرة كانت جميلة وسيمة دعاها لنفسه ، وقد رآها بعكاظ ، فامتعت ،
 فغزا لذلك بني مرة . فلما علمت بنو مرة بقدومه عليهم ، تجهزوا له وقتلوه^٢ .
 فقرر صخر بن عمرو الشريد السلمي الانتقام من قتلة أخيه ، فأغار على بني مرة
 في يوم حوزة الثاني ، وقتل دريد بن حرملة أخا هاشم بن حرملة رئيس بني مرة .
 ثم قتل رجل من بني جشم هو عمرو بن قيس الجشمي هاشم بن حرملة ، فاستراحت
 بذلك بنو سليم ، وسرت النساء بمقتل هاشم ، ولها شعر كثير في رثاء أخيها
 معاوية وصخر^٣ .

وقد توفي صخر على أثر إصابته بجرح ظل يفتك به مدة طويلة ، أصيب به
 في غزوة غزا بها بني أسد بن خزيمه . فتعقبته بنو أسد لتخلص إبلها منه ، وكان
 قد اكتسحها منهم في هذا الغزو ، فلما كان في موضع ذات الأثل ، لحقت به
 وجرحته فقتل هذا الجرح عليه^٤ .

ومن أيام هوازن وغطفان يوم اللوى ، وقد قتل فيه عبدالله بن الصمة أخو
 دريد بن الصمة . وكان عبدالله قد غزا مع بني جشم وبني نصر أبناء معاوية بن
 بكر بن هوازن وغطفان ، فظفر بهم وساق أموالهم . وبينما كان عائداً بغنائمه ،
 فاجأته عيس وفزارة وأشجع في موضع اللوى ، فقتلوه واستعادوا ما كان قد غنمه
 منهم ، وجرح دريد أخوه . فلما شفي دريد من جرحه ، أغار على غطفان ليستقم
 منها لمقتل أخيه ، وقتل رجالاً منهم ، واستاق جملة أسرى . وقد عرف هذا
 اليوم بيوم الغدير^٥ .

-
- ١ الطبري (٢٤٥/٢ وما بعدها) ، (خبر بشر معونة) ، المجبر (٢٣٤ ، ٤٧٢) ،
 الاشتقاق (١٨٠ ، ٢١٥) .
 - ٢ العقد الفريد (٢٨/٦) ، الاغانى (٣٢٩/٢) ، (٤٨/١٠) ، (١٣٠-١٣٤/١٣) ، شرح
 الحماسة للتبريزي (١١٠/٣) ، نهاية الارب (٣٦٥/١٥) .
 - ٣ العقد الفريد (٢٩/٦ وما بعدها) ، الاغانى (١٤٠/١٣) ، المبرد (٢٨١/٢) ،
 نهاية الارب (٣٦٧/١٥) .
 - ٤ العقد الفريد (٣١/٦) ، نهاية الارب (٣٦٨/١٥) .
 - ٥ الاغانى (٦/١٠) ، شرح التبريزي على الحماسة (ص ٣٠٥) ، جمهرة أشعار
 العرب (ص ٢٢٦) . العقد الفريد (٣٢/٦ وما بعدها) ، نهاية الارب (٣٦٩/١٥) .

ويذكر أهل الأخبار أنه قد كان بين (دريد بن الصمة) و (ربيعة بن مكرم) يوم ، عرف بـ (يوم الطعينة) . وكان دريد قد خرج في فوارس من (بني جُشم) حتى إذا كان في وادٍ يقال له : (الأحزم) وهم يريدون الغارة على بني كنانة ، رفع له رجل في ناحية الوادي ومعه طعينة ، فأرسل فرساناً من فرسانه ليأتوا إليه بخبره ، فلم يعودوا ، فذهب (دريد) بنفسه إليه ليراه ، فأخذ الرجل منه رمحه وخطي ، ثم انصرف دريد إلى أصحابه ، ثم لم تلبث (بنو كنانة) أن أغارت على بني جُشم ، فقتلوا وأسروا (دريد بن الصمة) ، وكان الرجل الذي أخذ رمح دريد يوم الطعينة ، هو (ربيعة بن مكرم) ، فلما سأل (دريد) وهو في الأسر عنه ، قيل له : (قتلته بنو سليم) ، ثم أطلق ، وجهز ، ولحق بقومه . فلم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك ^١ .

ولدريد يوم مع غطفان عرف بـ (يوم الصلعاء) . وقد انتصرت فيه هوازن على غطفان ، وقتل فيه دريد^٢ ذؤاب بن زيد بن قارب^٣ .

ودريد بن الصمة من الفرسان المعروفين كذلك ، وقد ترأس قومه في عدة غزوات . ويعدله الأخباريون في جملة البرص الأشراف ، وهو ممن أدرك الإسلام^٤ .

و (ربيعة بن مكرم) فارس مشهور ، وهو فارس بني كنانة ، وبنو كنانة من أنجد العرب ، عرفوا بالشجاعة حتى قيل إن الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم . وصادف أن قتلت (بنو فراس) رجلين من بني سُليم ، فحققت بنو سليم عليهم . فلما كان ظعن من بني كنانة بـ (الكديد) ، وفيهم ربيعة بن مكرم ، تلقاهم قوم من (بني سُليم) ، فاقتتلوا معهم ، وقتل ربيعة في ذلك اليوم . ولما دفن عقر على قبره . وكان (يعقر على قبره في الجاهلية ، ولم يعقر على قبر أحد غيره)^٥ .

ولما قتلت بنو سليم (ربيعة بن مكرم) ، غزا (مالك بن خالد بن صخر ابن الشريد) سيد (بني سُليم) (بني كنانة) . وكان بنو سُليم قد توجّأوا

١ نهاية الارب (٣٧٠/١٥ وما بعدها) .

٢ نهاية الارب (٣٧٣/١٥) .

٣ المحبر (٢٩٨ وما بعدها) ، الاشتقاق (١٧٧ وما بعدها) .

٤ الكديد ، بفتح أوله وكسر ثانيه بعده دال مهملة ، موضع بين مكة والمدينة ، وهو ماء

عين جارية عليها نخل كثير ، نهاية الارب (٣٧٣/١٥) ، الاغانى (١٢٩/١٤) ،

الامالي (٢٧١/٢) ، العقد الفريد (٣٢٤/٣) .

مالكاً وأمره عليهم ، حتى عرف بـ (ذي الناج) . فأغار (ذو الناج) على (بني فراس) وهم من (بني كنانة) بـ (بزة) . وكان رئيس بني فراس (عبدالله بن جدل) ، فدعا (عبدالله) (ذا الناج) إلى البراز ، فشد عليه وقتله^١ . وعرف هذا اليوم بـ (يوم فرارة) وبـ (يوم بزة)^٢ .

ثم إن بني الشريد حرّموا على أنفسهم النساء والدهن أو يدركوا ثأرهم من كنانة فأغار (عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد) بقومه على بني فراس ، فقتل منهم نقرأ ، وسبي سبياً فيهم ابنة مكدم أخت ربيعة بن مكدم^٣ .

وتيم من القبائل التي يرد اسمها في الأيام . ومن هذه الأيام عدة أيام وقعت بينها وبين قبائل ربيعة وأيام أخرى وقعت بينها وبين قيس . ومن أيامها مع قبائل ربيعة : يوم الوقيط ويوم ثيتل (نبتل) ، ويوم جدود ، ويوم زرود ، ويوم ذي طلوح ، ويوم الغبيط ، ويوم قشاوة ، ويوم زباله ، ويوم مبايض ، ويوم الزورين ، ويوم عاقل .

أما يوم الوقيط، فكان بين الهازم من ربيعة وبين تميم^٤ . وأما (ثيتل)° (نبتل)^٥ فيذكر مع يوم النجاج أيضاً ، وهما يومان متقاربان وقعا في موضعين متقاربين . وقد وقعا بسبب خروج قيس بن عاصم المنقري رئيس مقاعس بجاعته ومعه سلامة ابن ظرب رئيس الأجارب لغزو بكر بن وائل . فلما وصلا إلى النجاج وثيتل ، وجدا الهازم وبني ذهل بن ثعلبة وعجل بن لجيم وعترة بن أسد بهذين الموضعين، فأغار قيس على أهل النجاج واقتتل معهم ، فانهزمت بكر . فعاد قيس بغنائم عديدة فوجد سلامة ، وهو في موضعه لم يغر بعد على من بثيتل من ناس ، فأغار قيس

-
- ١ نهاية الارب (٣٧٤/١٥) .
 - ٢ « بزة » ، نهاية الارب (٣٧٤/١٥) ، « بزة » « بزر » ، العقد الفريد (٣/٣٢٦) ، أيام العرب (٣١٩) .
 - ٣ نهاية الارب (٣٧٥/١٥) .
 - ٤ العقد الفريد (٤٤/٦) (١٨٢/٥) وما بعدها (لجنة) ، (٣٣٠/٣) ، النقائص (ص ٣٠٥) ، نهاية الارب (٣٧٩/١٥) وما بعدها ، (دار الكتب) ، أيام العرب (١٧٢) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٨٥/١) ، الامالي (٦/١) ، العملة (٢٥١/٢) ، مرصد (٢٩٥/١) .
 - ٥ البلدان (٣٠/٣) ، مادة ثيتل ، ابن الاثير (٣٩٧/١) .
 - ٦ (نبتل) هكذا في طبعة (العريان) للعقد الفريد (٤٧/٦) ، وصوابه (ثيتل) . وأما (نبتل) ، فموضع اخر لا علاقة له بهذا المكان .

عليهم ، وسلم ما غنمه الى سلامة ^١ .

ووقع يوم جلود بسبب عزم الحارث بن شريك على غزو بني سليط بن يربوع .
جمع الحارث بني شيبان وذهلاً والهازم ثم سار بهم إلى أرض بني يربوع راجياً
مباغتتهم . ولكنه ما كاد يصل إلى بلادهم حتى شعروا به ، وهاجوا عليه . فلم
يتمكن من غزوهم ، فتركهم وذهب نحو بني ربيع بن الحارث بجلود ، فأغار
عليهم ، وأصاب سبياً ونعماً . فبعث بنو ربيع صريحاً إلى بني كليب بن يربوع
يطلب العون ، فلم يجيبوهم ، فذهب الصريح إلى بني منقر بن عبيد ، فركبوا
في الطلب ، ولحقوا بكر بن وائل واصطدموا بهم وانتصروا عليهم فرجعوا بأموال
وغنائم وبما كانت بكر بن وائل سلبته من بني ربيع بن الحارث . وكان رئيس
بني يربوع في هذا اليوم : قيس بن عاصم المنقري ^٢ .

وبعد الحارث بن شريك من الجرارين في ربيعة ، ويعرف بالحوقران ^٣ . وفي
يوم ذي طلوح وقع أسيراً في أيدي بني يربوع . فلما غزا مع قومه بني يربوع في
هذا اليوم ، كانت يربوع يقظة عارفة بعزم بكر . فأخذوا بكراً على غرة ، وسقط
الحوقران أسيراً فجزت ناصيته ، ودفع مثنين من الإبل حتى فدى نفسه من الأسر ^٤ .
وأما قيس بن عاصم المنقري ، فهو من سادات (منقر) من تميم ، وبعد من
سادات أهل الوبر ، ومن حلفاء بني تميم ، ومن حرم الحمر على نفسه في
الجاهلية ^٥ .

ولما أغار خزيمة (خزيمة) بن طارق التغلبي على بني يربوع ، وهم بزرود ،
واستاق إبلهم ، كانت نتيجة غزوته هذه أن تعقب بنو يربوع أثره وأسروه ،

١ النقائض (١٠٢٣) ، العقد الفريد (٤٧/٦) ، ابن الاثير (٣٩٧/١) ، البلدان
(٣٠/٣) ، (٢٤٣/٨) ، البكري (١٢٩١/٤) ، (طبعة السقا) ، مادة (النبا)
و (ثيتل) ، نهاية العرب (٣٨١/١٥) وما بعدها ، أيام العرب (١٧٥) وما
بعدها .

٢ النقائض (١٢٤ ، ٣٣٦) ، ابن الاثير (٣٧٢/١) ، العقد (٥٨/٦) ، البلدان
(٦٧/٣) ، سبائك الذهب (١١٥) ، نهاية العرب (٣٨٩/١٥) ، شرح الفضليات ،
لابن الانباري (٧٤٠) .

٣ المحبر (٢٥٠ ، ٣٠٤) .

٤ النقائض (٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١) ، العقد الفريد (٥٠/٦) ، ابن الاثير (٣٨٩/١) ،
البكري (٨٩٣/٣) ، (مادة ذي طلوح) ، نهاية العرب (٣٨٣/١٥) .

٥ الاشتقاق (١٥٤) .

واستقلوا ما كان قد أخذ ، ثم أسروه ولم ينج إلا بعد جز ناصيته ودفع مئة من الإبل^١ .

وكان يوم (ذي طُلوح) وهو موضع في حَزْن بني يربوع بين الكوفة وفَيْد ، لبني يربوع من تميم على بكر من ربيعة . وقد أخذ (الحارث بن شريك) أسيراً ، أخذه حنظلة بن بشر ، وكان ثقيلًا في بني بشر ، فاختصم عبدالله بن الحارث ، وعبد عمرو بن سنان في الحارث ، فحكم الحارث في أمر نفسه ، فأعطى كل واحد منها مئة من الإبل ، وجعل ناصيته لحنظلة بن بشر^٢ .

وانتصرت بنو يربوع على بكر في يوم الإياد كذلك ، وكانت بكر قد أقبلت من عند عامل عين التمر قاصدة بني يربوع ، ومعها من الرؤساء بسطام بن قيس فارس بكر وهانيء بن قبيصة ومفروق بن عمرو ، فأحست بنو يربوع بمجيء بكر ، وقتلهم في موضع الإياد ، وقتلت جماعة من فرسان بكر ، وأسرت قوماً منهم : هانيء بن قبيصة الذي فدى نفسه ، فنجوا^٣ .

وقد كان بسطام بن قيس مع الحارث بن شريك - الحوفزان - ومفروق بن عمرو في يوم الغبيط ، وفيه غزت بنو شيان بلاد تميم ، غزوا بني ثعلبة بن يربوع وثلعة بن سعد بن ضبة ، وثلعة بن عدي بن فزارة ، وثلعة بن سعد بن ذبيان ، وكانوا متجاورين بصحراء فُلَج ، فهزمت الثعالب ، وأصابوا فيهم ، واستاقوا إبلًا من نعمهم . ثم ساروا في أرض بني مالك بن زيد مائة من تميم ، فاكتمسحوا إبلهم ، فركبت عليهم بنو مالك ، وعليهم عتيبة بن الحارث اليربوعي ، والأحيمر ابن عبدالله ، وأسيد بن حباءة ، وأبو مرحب ، وجزء بن سعد الرياحي ، وربيعة والحليس وعمارة بنو عتيبة بن الحارث ، ومالك بن نويرة وغيرهم ، فأدركوهم بغبيط المدرة ، فقاتلوهم حتى هزموهم ، وأخذوا ما كانوا استاقوا من إبلهم ، وقتلت بنو شيان أبا مرحب ثعلبة بن الحارث وألح عتيبة بن الحارث ، وأسيد ابن حباءة ، والأحيمر بن عبدالله على بسطام بن قيس حتى وقع بسطام في أسر

- ١ المفضليات (٣) ، العقد الفريد (٤٩/٦) ، خزانة الادب (٣٥٤/١) ، (خزيمة) ، نهاية الارب (٣٨٣/١٥) ، (فحكم بناصية خزيمة للانيف ، على أن لاسيد مائة من الإبل . قال : ففدى خزيمة نفسه بمائتي بعير وفرس) ، نهاية الارب (٣٨٣/١٥) .
- ٢ ابن الاثير ، الكامل (٣٨٩/١) ، النقاظ (٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١) ، العقد الفريد (٤٣٣/٣) .
- ٣ النقاظ (٨٥٠) ، شعراء النصرانية (٢٥٩ وما بعدها) ، ابن الاثير (٣٧٣/١) .

عتية . وقد وافق بسطام على دفع دية هي ثلاث مئة بعير وأن تجز ناصيته وعلى أن يعاهد بعدم غزو بني شيان ، فأفرج عنه^١ .

وغزا بسطام بن قيس رئيس بني شيان بني يربوع في يوم قشاوة ، (يوم نعف قشاوة) وقد انتصر فيه على جماعة من بني يربوع ، وعاد مع بعض الغنائم^٢ . وبعد هذا اليوم من وقعات بسطام المعدودة . قال ابن الأنباري : « كان لبسطام أربع وقعات : أسر يوم الصحراء ، وظفر يوم قشاوة ، وانهزم يوم العظالي ، وقتل يوم النقاء »^٣ .

وقد استحر القتل في تغلب ومن كان معهم من تميم ، وذلك في يوم بارق . وكان سببه أن بني تغلب والنمر بن قاسط وأناساً من تميم اقتتلوا حتى نزلوا ناحية بارق من أرض السواد ، وأرسلوا وفسداً منهم الى بكر بن وائل يطلبون اليهم الصلح ، فاجتمعت شيان ومن معهم ، وقرروا الاستفادة من هذه الفرصة ، وعزموا على مباغنة القوم ، فقال : زيد بن شريك الشيباني لاني أجرت أخوالي وهم النمر بن قاسط ، فأمضوا بجواره ، وساروا وأوقعوا ببني تغلب وتميم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، لم تصب تغلب بمثلها ، واقتسموا الأسرى والأموال ، وكان من أعظم الأيام عليهم^٤ .

وقد اصطدمت بنو شيان ببعض بطون تميم في يوم زباله كذلك . وقد حضر هذا اليوم الأقرع بن حابس ، وأخوه فراس ، وهما من تميم ، وكانت تميم هي البائدة بغزو بكر بن وائل . اصطدمت بهم في موضع زباله ، فزلت الهزيمة بتميم ، وأسر الأقرع وفراس أخو الأقرع ، أسرها بنو تميم الله وهم من بكر . ثم لقي بنو تميم الله بني شيان وهم من بكر أيضاً ومعهم بنو رباب ، فانترع بسطام بن قيس رئيس بني شيان الأقرع وأخاه منهم ، وصاروا أسيرين لبسطام . ثم اقتدى الأقرع وأخوه أنفسهما من بسطام ، وعاهداه على إرسال الفداء ، فأطلقهما

- ١ النقااض (٧٥ ، ١١٣٢) ، ويقال لهذا اليوم : يوم الغبيط ويوم الثعالب ، والثعالب أسماء قبائل اجتمعت فيه . ويقال له : يوم صحراء فلج ، العقد الفريد (٥٥/٦) ، ابن الأثير (٣٦٥/١) ، سبائك الذهب (١١٤) ، نهاية الارب (٣٨٨/١٥) .
- ٢ النقااض (ص ١٩) ، ابن الأثير (٣٦٤/١) ، البكري (١٠٧٥/٣) « طبعة السقاء » ، مادة « قشاوة » ، البلدان (٩٢/٧) « مادة قشاوة » العمدة (١٩١/٢) .
- ٣ البكري (١٠٧٥/٣) .
- ٤ الكامل (٢٩٩/١) « المطبعة الازهرية » .

ولكنها لم يرسلها له الفداء^١.

والأقرع بن حابس، فارس مشهور من فرسان تميم . ويعد من حكام العرب . وقد اتصل حكمه في عكاظ إلى الاسلام . ويعد أيضاً من السادة الجرارين ، ومن المؤلفة قلوبهم من تميم^٢ .

وكان يوم مبايض من الأيام المهمة التي وقعت بين بني شيان من بكر، وبين بني تميم . وقد دارت الدائرة فيه على تميم . وألحقت بها خسائر فادحة . وسبب هذا اليوم أن فارساً من فرسان تميم يدعى طريف بن تميم العنبري كان قد وافى عكاظ في الشهر الحرام ، وكان قد قتل رجلاً من بني شيان ، فتعقبه ابن ذلك الرجل ، ليأخذ بثأر أبيه منه . وصادف أن وقع نزاع بين بني مرة بن ذهل بن شيان وبين بني ربيعة بن ذهل بن شيان كاد يؤدي بينها إلى حرب ، فقرر هانيء ابن مسعود رئيس بني ربيعة - حقناً للدماء - الارتحال بقومه ، والتزول على ماء مبايض . فلما سمع طريف العنبري بتزول ربيعة على هذا الماء ، نادى قومه للإغارة على ربيعة ، ما دامت منفردة ، وليس لها في هذا الموضع نصير ، لإضعاف بكر ابن وائل وللإنتقام منها . فعلمت ربيعة بذلك ، فاستعدت للقتال . فلما هاجمت تميم ربيعة ، كان بنو شيان على استعداد ، فألحقوا بتميم خسارة لم تصب بمثلها ، فلم يفلت منهم إلا القليل . وانهزم طريف فتعقبه ابن الشيباني الذي قتله طريف ، فقتله . فكان هذا اليوم من أهم الأيام التي وقعت بين بني شيان وتميم^٣ . واسم قاتل (طريف) ، هو (حصيصة الشيباني) ، (حصيصة بن شراحيل)^٤ .

وكان سادة تميم الذين قادوهم في هذا اليوم ثلاثة رؤساء ، هم : أبو الجدعاء الطهوي علي بن حنظلة ، وابن فدكي المنقري علي بن سعد ، وطريف بن عمرو علي بن عمرو بن تميم^٥ .

وكان يوم الزورين من أيام بكر على تميم كذلك . وكانت بكر تنتجع أرض

١ التقائض (٦٨٠) ، ابن الاثير (٣٦٦/١) ، شعراء النصرانية (٢٩٨) ، أيام العرب (٢٠٦) .

٢ الاشتقاق (١٤٦) ، المحبر (١٣٤ ، ١٨٢ وما بعدها ، ٢٤٧ ، ٣٤٧) .

٣ ابن الاثير (٣٦٨/١) ، العقد الفريد (٦٥/٦) ، معاهد التنصيص (٧١/١) ، نهاية الارب (٣٩٤/١٥) ، أيام العرب (٢٠٨ وما بعدها) .

٤ الاشتقاق (١٣١) ، أيام العرب (٢٠٨) .

٥ أيام العرب (٢٠٩) .

تميم ، ترعى بها اذا أجذبوا. فإذا أرادوا الرجوع ، أخذوا كل ما وجدوه أمامهم واستاقوه معهم . فلما كثر اعتداء بكر على تميم ، تفاقم الشر بينهما وعظم حتى صار لا يلقى بكري تميمياً إلا قتله ، ولا يلقى تميمي بكرياً إلا قتله . ثم عازمت تميم على التخلص من أذى بكر ومنعها من الرعي في أرضها ، فحشدت واستعدت لقتال بكر ، واستعدت بكر لقتال تميم . فلما اصطدم الجمعان تغلبت بكر على تميم ، وقتلت منهم مقتلة عظيمة^١ .

ويذكر أهل الأخبار أن سبب تسمية يوم الزورين بهذه التسمية ، هو أن بني تميم كانوا قد وضعوا بكريين مجللين مقيدين ، بين الصفيين ، وقالوا : هذان زوراننا ، أي إلهانا ، فلا نفرّ حتى يفرّا ، وجعلوا عندهما من يحفظهما . فلما أبصر البكريون الزورين هجموا على حراسهما وأخذوا البعيرين وذبحوهما ، أو ذبحوا أحدهما وتركوا الآخر يضرب في شولهم . فارتبكت تميم وانهزمت شر هزيمة^٢ . وكان المقدم على بكر (عمرو بن قيس بن مسعود الشيباني) ، المشهور بـ (أبي مفروق) ، قدمته (بكر) عليهم ، فحسده سائر ربيعة ، وأرادوا ازاحته عن الرئاسة ، إذ كانوا يريدون أن يجعلوا على كل حي رجلاً منهم ، وأن يكون كل حي على حياله ، فأصر ابنه (مفروق) عليه بمخالفتهم ، وبقي رئيساً عليهم كلهم : فلما كان القتال ، برك بين الصفيين ، وقال أنا زوركم ، فقاتلوا عني ، ولا نفرّوا حتى أفرّ . ولم يكن الحوفزان بن شريك يومئذ في القتال ، فقد كان في أناس من بني ذهل بن شيان غازياً في بني دارهم . ومن اشترك فيه : حنظلة بن سيار العجلي ، وحمدان بن عبد عمرو العبيسي ، وأبو عمرو ابن ربيعة بن ذهل بن شيان . وقتل فيه من بني تميم أبو الرئيس النهشلي ، وهو من ساداتهم^٣ .

وقد أكثر الشعراء في ذكر هذا اليوم لا سيما الأغلب العجلي ، وذكره الأعشى أيضاً^٤ .

- ١ نهاية الارب (٣٩١/١٥ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٣٦٨/١ وما بعدها) ، اللسان (٣٣٧/٤) ، العقد الفريد (٦٥/٦ وما بعدها) .
- ٢ اللسان (٣٣٧/٤ وما بعدها) « صادر » ، العقد الفريد (٢٠٥/٥ وما بعدها) ، أيام العرب (٢١٢) .
- ٣ العقد الفريد (٢٠٥/٥ وما بعدها) ، الكامل (٣٦٨/١ وما بعدها) .
- ٤ الكامل (٣٦٨/١ وما بعدها) .

وكان سبب يوم عاقل ان (الصمة بن الحارث الجشمي) أغار على بني حنظلة بعامل ، فأسره الجعدين الشماخ أحد بني عدي بن مالك بن حنظلة ، وهزم جيشه ، وأبطأ الصمة في فدائه فجزّ الجعد ناصيته وأغلظ في الكلام عليه ، فضرب الصمة عنقه . فكث الصمة زماناً ، ثم غزا بني حنظلة ، فأسره الحارث ابن بيبة المجاشعي (الحارث بن نبيه المجاشعي) وهزم جيشه ثم أجاره الحارث من إساذه ذلك ، وخرج الحارث بالصمة الى بني يربوع من بني حنظلة ليشتري الصمة أسراء قومه . فلما رأى (أبو مرحب) ، وهو ثعلبة بن الحارث ، الصمة ، وكان يعرف انه غدر بالجعد ، خنس عنه ، وأخذ سيفه ثم جاء فضرب به بطن الصمة فأنقله^١ .

وأما أشهر الأيام التي وقعت بين قيس وتميم ، فيوم الرحرخان ، ويوم شعب جبلة ، ويوم ذي نجب ، ويوم الصرائم ، ويوم الرغام ، ويوم جزع ظلال ، ويوم المروت .

أما يوم رحرخان ، فقد أشرت اليه سابقاً ، وهو يوم وقع في أعقاب قتل الحارث بن ظالم المري خالد بن جعفر الكلابي ، وكان سببه أن قوم الحارث ابن ظالم أنكروا عليه فعله . ولاموه على عمله فتجنبهم وهرب منهم ، ولحق بتميم فأجاروه ، فاستاءت بنو عامر من ذلك ، وطلبت من بني تميم تسليم الحارث اليهم . فلما أبوا ، جاءت بنو عامر تريد مباغتة تميم ، وكانت تميم قد علمت بمسيرها اليهم ، فأرسلوا بما عندهم من أثقال وأهل الى بلاد بني بغيض . ولما كانوا في موضع رحرخان ، التقوا ببني عامر ورئيسهم الأحوص ، فدارت الدائرة على بني تميم ، وأسر منهم معبد بن زرارة : أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب^٢ . وشاركها في أسره رجل من غني يقال له : أبو عميرة عصمة بن وهب ، وكان أخا طفيل من الرضاعة ، وفي أسره مات معبد . شدوا عليه القيد وبعثوا به الى الطائف خوفاً من بني تميم أن يستنقذوه^٣ .

-
- ١ النقائض (١٠١٩) ، أيام العرب (٢١٧ وما بعدها) ، العمدة (٢٠٧/٢) .
 - ٢ العقد الفريد (٨/٦ وما بعدها) ، النقائض (٢١٤/١) ، الاغانى (٣٠/١٠) ، ابن الاثير (٣٤١/١) ، الميداني (٣٩٨/٢) ، (الباب التاسع والعشرون : فسي أسماء أيام العرب) العمدة (١٩٨/٢ وما بعدها) .
 - ٣ العمدة (٢٠٩/٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) .

وأخذ لقيط بن زرارة يستعد ويجمع العدة ، لينتقم من بني عامر ، وليأخذ منهم بثأر أخيه معبد الذي أسر في يوم رحرحان ، ثم هلك لمنع بني عامر الماء عنه^١ . فذهب الى النعمان بن المنذر وأطعمه في الغنائم ، فأجابته . ثم ذهب الى الجون الكلبي ملك هجر^٢ ، فأجابته أيضاً . ثم توجه الى كل من عرف بعداثه لبني عامر وعيس ، فأوغر صدره عليهم ، ومناه بالغنيمة والنصر ، فانضمت اليه بنو ذبيان لعداثها لعيس بسبب حرب داحس والغبراء ، وبنو أسد للحلف الذي كان بينهم وبين بني ذبيان . فلما مضى الحول على يوم رحرحان ، انهالت الجيوش على لقيط ، فوصل جيش الجون الكلبي وعليه عمرو ومعاوية ابناه ، ووصل جيش النعمان وعليه أخوه لأمه حسّان بن وبرة الكلبي ، وأقبل الحليفان أسد وذبيان وعليهم حصن بن حذيفة ، وأقبل شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل المزار في جمع من بني كندة .

وسار سادات تميم : حاجب بن زرارة ، ولقيط بن زرارة ، وعمرو بن عمرو ، والحارث بن شهاب ، ومعهم أحلافهم ومن انضم اليهم ، يقصدون بني عامر ، فنتج عن ذلك جمع لم يكن في الجاهلية أكثر منه .

وعرفت بنو عامر بمجيء الجمع ، فاستعدت له وتحصنت في شعب جبلة . أخبرها بذلك كرب بن صفوان السعدي ، وكان شريفاً من أشراف قومه لم يخرج مع الجمع ، فخافوا من تحلفه عنهم ، وعرفوا انه دبّر في ذلك أمراً ، وانه يقصد إختبار بني عامر . فأخذوا عليه العهد بالألا يفشي سر مسيرهم هذا لبني عامر . وقد سار كرب بن صفوان الى بني عامر ، وأظهر لهم علائم هجوم بني تميم عليهم ، دون أن يقول لهم شيئاً عنه لئلا يخلف وعده . فعرفوا به ، واستعدوا له . وبينما كان القوم على وشك الوصول الى ديار بني عامر ، عادت بنو أسد فغيرت رأيها من الاشتراك في هذا الهجوم ، ورجعت عنهم ، ولم يسر مع لقيط منهم إلا نفر يسير .

ولما وصل بنو تميم وأحلافهم الى شعب جبلة ، كان بنو عامر على أتم استعداد للقاء . وقد احتموا في مواضع منيعة حصينة من الشعب . ولما دخلوه يريدون

١ الاشتقاق (ص ١٤٥) .

٢ (الكندي) ، نهاية الارب (٣٥١/١٥) .

الفتك بيني عامر وعيس ، باغتهم هؤلاء بهجوم مفاجيء أفسد عليهم خطط قتالهم فارتدوا مذعورين تتبعهم سيوف بني عامر . فكانت هزيمة فادحة نزلت بتميم وعن كان معهم من الأخلاف كلفت لقيطاً حياته ، وأوقعت حاجباً في الأسر ، وأوقعت غيره في الأسر كذلك^١ .

وقد وقع هذا اليوم في عام مولد النبي على بعض الروايات ، أي سنة ٥٧٠ للميلاد ، وبعد عام من يوم الرحران^٢ . وقد أشار بعض الرواة الى اشتراك عمرو بن الجون ومعاوية بن الجون في هذا اليوم ، والى عقد معاوية بن الجون الأولوية ، فكان بنو أسد وبنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون . وكان بنو عمرو ابن تميم مع لواء حاجب بن زرارة ، وكان لواء الرباب مع حسان بن همام، وعقد لجماعة من بطون تميم مع لقيط بن زرارة ، وكان عمرو بن الجون أول من قتل في هذا اليوم . وأسر أخوه معاوية بن الجون ، كما أسر عمرو بن عمرو بن عدس وحاجب بن زرارة . وقد حمل عترة على لقيط ، فضربه بسيفه . ثم فدى حاجب بن زرارة بخمسة مئة من الإبل ، وفدى عمرو بن عمر بمئتين^٣ .

وقد كان يوم جبلة في عام واحد مع يوم رحران على رواية ، ويتصلون بهذا اليوم يوم رحران الثاني تمييزاً له عن يوم رحران الأول الذي غزا فيه يثربي ابن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم بن عامر بن صعصعة . وفي يوم رحران الثاني على هذه الرواية ، كان أسر معبد بن زرارة : وقد نقل الى الطائف خوفاً من بني تميم أن يستقلوه^٤ .

وبعد مرور عام على يوم جبلة طمعت بنو عامر في غزو بني تميم والإيقاع بها ، فذهبت الى حسان بن كبشة الكندي ، وعلى رأسها ملاعب الأسنة عامر ابن مسالك بن جعفر وطفيل بن مالك بن جعفر وعمرو بن الأحوص بن جعفر

- ١ الاغاني (٣٣/١٠) ، العقد الفريد (٩/٦ وما بعدها) ، ابن الاثير (٣٥٥/١) ، النقاظ (١١٥/٢) ، الميداني (٣٩٨/٢) ، (الباب التاسع والعشرون : في أسماء أيام العرب) ، البكري (٣٦٥/٢) (جبلة) ، سبائك الذهب (١١٠ وما بعدها) ، أبام العرب (١٤٩ وما بعدها) ، نهاية الارب (٣٥٠/١٥) ، الاغاني (١٣١/١١) ، (١٦١) ، البلدان (٤/٣) .
- ٢ البكري (٣٦٥/٢ وما بعدها) ، (جبلة) ، العقد الفريد (٩/٦ وما بعدها) .
- ٣ ابن الاثير (٢٤٣/١) ، ولابن اسحاق رواية أخرى عن هذا اليوم .
- ٤ العمدة (١٩٨/٢ وما بعدها) .

وزيد بن الصعق وقدامة بن سلمة بن قشير وعامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، تطمعه في الغنيمة وفي الأموال الوافرة والسبي إن انضم إليها وساعدها في الغزو ، فغلبه طمعه ووافق على السير معهم الى بني حنظلة بن مالك بن تميم . وبلغ الخبر بني حنظلة ، فتركوا ديارهم برأي عمرو بن عمرو بن عدس ، وكانت في أعلى ذو نجب . وأما في أسفله، فكان بنو يربوع، وهم من تميم كذلك. فلما بلغ حسان ومن معه من الجيش الموضع ، اقتتلوا مع بني يربوع ، فشده (حشيش بن نمران الرياحي) على حسان وضرب بالسيف على رأسه فقتل، وانهزم أصحابه ، وأسر يزيد بن الصعق ، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة، فكان النصر فيه لبني تميم^١ .

وفي رواية أن بني عامر استنجدت بمعاوية بن الجون الكندي ، فأنجدهم بابنيه عمرو وحسان وبجيشه ، فقتل في ذلك اليوم عمرو بن معاوية الكندي ، وأسر حسان ابن معاوية الكندي ، وقتل عامة الكنديين^٢ .

وفي رواية أخرى ان حسان بن معاوية آكل المزار ، هو الذي اشترك في هذا اليوم ، وقد قتل فيه : قتله حشيش بن نمران من بني رياح بن يربوع . وفي رواية أخرى انه كان في جملة من وقع في الأسر ، وان المقتول رجل آخر هو عمرو بن معاوية . وقد قتل في هذا اليوم عمرو بن الأحوص رئيس بني عامر يومئذ. قتله خالد بن مالك النهشلي^٣ .

وفي يوم الصرائم ، وهو يوم يسمى أيضاً بيوم بني جذيمة ويوم ذات الجرف، أغارت فيه بنو عبس على ربيعة بن مالك بن حنظلة ، فأتى (الصريخ) بني يربوع، فركبوا في طلب بني عبس ، فأدركوهم بذات الجرف، فقتلوا منهم جملة قتلى ، وأسروا بعض الرؤساء^٤ .

وكان لبني تميم يوم آخر على بني عبس وعامر ، وهو يوم مأزق (ملزق) ويسمى أيضاً بيوم السوبان . وذلك بعد أن قاتلت تميم جميع من أتى بلادها من القبائل ، وهم إياد وبلحارث بن كعب ، وكلب ، وطيء ، وبكر ، وتغلب

-
- ١ ابن الاثير (٣٦٣/١) ، النقائض (٣٠٢ ، ٥٨٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٧٩) ، البكري (١٢٩٧/٤) ، (ذو نجب) ، العملة (٢٠١/٢) .
 - ٢ البكري (١٢٩٧/٤) (ذو نجب) ، الاغانى (١٣٦/١١) .
 - ٣ العملة (٢٠١/٢) ، أيام العرب (٣٦٦) .
 - ٤ النقائض (٢٤٨ ، ٣٣٦) ، العملة (٢٠٠/٢) .

وأسد ، وآخر من أتاها بنو عيس وبنو عامر^١ . ويظهر ان تيمماً حاربت هذه القبائل للتخلص منها ، وكانت تنزل في ديارها للانتجاع في أرضها، وهي أرضون خصبة واسعة ، فكلفها ذلك عدة حروب .

وقد انتصرت تيم على عامر في يوم المروت . وكان سببه نزاع بسيط وقع بين (قنعب بن الحارث بن عمرو بن همام اليربوعي) وبين (مجير بن عبد الله العامري) بسبب نسب فرس ، أدى الى غزو مجير لبني العنبر من تيم ، ثم الى ملاحقة بني يربوع لمجير وجماعته من بني عامر ، والى سقوط عدد من القتلى من بني عامر واسترداد ما كان بنو عامر قد غنموه . وقد ضرب (قنعب بن عتاب) رأس (مجير) فأطاره^٢ .

وانتصرت بنو يربوع على بني كلاب من قيس في يوم الرغام^٣ . وذلك أن (عتيبة بن الحارث بن شهاب) أغار في بني ثعلبة بن يربوع على طوائف من بني كلاب . وكان أنس بن عباس الأصم أخو بني رعل مجاوراً في بني كلاب وكان بين بني ثعلبة بن يربوع ، وبين بني رعل عهداً ألا يسفك دم ، ولا يؤكل مال . فجاء الكلابيون الى أنس بن عباس الأصم راجين منه أن يذهب الى بني (ثعلبة) ليجبهم عنهم حتى يتديروا أمرهم ويستعدوا للقتال . فذهب أنس اليهم وقابل حنظلة بن الحارث شقيق عتيبة بن الحارث ، وكلّمه في أمر ما بينه وبين بني ثعلبة من عهد ، فأجيب الى طلبه ، وتباطأ في أخذ ما سلبه منه بنو ثعلبة من إبل حتى جاءت فوارس بني كلاب ، فحمل (الحوثر بن قيس) وهو من فرسان بني كلاب على (حنظلة بن الحارث) فقتله ، فحمل فرسان من بني ثعلبة بن يربوع على الحوثر ، فأسروه ، ودفعوه الى عتيبة فقتله ، وهزم الكلابيون. ومضى بنو ثعلبة بالإبل والغنائم ، واتبعهم (أنس بن عباس) رجاء أن يصيب منهم غرة^٤ ، فيأخذ منهم ما يريد . ولما مرّ بالطريق ، تغفله (عتيبة) وأسرهم ، وأتى به أصحابه ، وأراد أصحاب عتيبة قتله ، ولكنه أبى أن يفعل بل قبل من

-
- ١ العمدة (٢٠٢/٢) ، (ملزق) ، العمدة (٢١٢/٢) (محمد محيي الدين عبد الحميد) .
 - ٢ النقائص (٧٠) ، ابن الاثير (٣٨٦/١) ، العمدة (١٩٢/٢) ، سبائك الذهب (١١٢) . أيام العرب (٣٧٥) .
 - ٣ النقائص (٤١٠) ، العمدة (٢٠٤/٢) .

أنس الفداء ففدى نفسه بمثني بعير^١ .

وأما يوم جزع ظلال (ظلال) ، فكان النصر فيه لفزارة ، وهم من قيس كذلك على بني تميم . وكان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري قد أغار بقومه فزارة ، ومعه مالك بن حمار الشمخي من بني شمع بن فزارة ، على التيم وعدي وثور أطحل من بني عبد مناة ، فأصاب غنائم كثيرة ، ورجع بأسرى عديدين أطلقهم فيما بعد . فلما مضت مدة ، بلغه أن النعمان بن جساس التيمي وعوف بن عطية وسبيع بن الخطيم ، وهم سادة تيم ، وابن المخيط وهو سيد بني عدي تيم ، انطلقوا الى بني سعد بن زيد مناة وضبة يستمدونهم ويسألونهم النصر ، فركب عيينة بن حصن مع قومه ، وأغار على التيم ، فقتلوا منهم قتلاً شديداً وأخذوا سبياً كثيراً . واحتفلوا بانتصارهم هذا بشرب الخمر . وكان نساء تيم ومن كان معهم من رجالهم يتقلون زقاق الخمر اليهم . ولم يسقوا تيماً محقرة لهم . ثم مضى زمن فرد بنو فزارة السبي الى تيم ، وأطلقوا الرجال بغير فداء^٢ . ومن أيام ضبة وغيرهم : يوم النصار ، ويوم الشقيقة ، ويوم بزاخته ، ودارة مأسل ، والنقعة .

وكان سبب يوم النصار جذب حل بأرض مضر ، وخصب أصاب بلاد بني سعد والرياب ، مع غيث غامر . فلما وقع ذلك الغيث ، أقبلت عامر بن صعصعة ومن معهم من هوازن الى بني سعد ، وكانوا يواصلونهم بالنسب ، فسألوهم أن يرعوهم ومن معهم من هوازن ففعلوا .

فلما اجتمعت بنو سعد والرياب وهوازن ومن معها ، قال بعضهم لبعض : انه ما اجتمع مثل عدتنا قط إلا كانت بينهم أحداث ، فليضمن كل حي ضامن ، فكان الضامن لما كان في سعد والرياب الأهم ، وهو سنان بن سمي بن خالد ، وكان الضامن على هوازن قره بن هيرة بن عامر بن صعصعة . فرعوا ذلك الغيث حيناً ، حتى وقع شر ، سببه أن (الختف) وهو رجل من بني ضبة قتل رجلاً من بني قشير ، فوقع الشر ووقعت الحرب ، واجتمع بنو سعد مع بني عامر ، واستمدوا بني أسد فأمدوهم ، والتقوا مع (بني ضبة) بالنصار فاقتلوا ، فصبرت

١ أيام العرب (٣٧٠) وما بعدها .

٢ النقائض (٣٠٢ ، ١٠٦) ، « جزع ظلال » ، العمدة (٢٠٤ / ٢) ، أيام العرب (٣٧٣) وما بعدها .

عامر ، واستحرق بهم القتل ، وانقضت بنو سعد وهربت ، ثم هرب بنو عامر . وقتل في هذا اليوم : شريح بن مالك القشيري ، رأس بني عامر ، ووقع سبي منهم في أيدي خصومهم^١ .

وقد وقع يوم النصار بعد يوم جيلة ، وذلك لأن الأحاليف ، وهم غطفان وبنو أسد وطيء شهدوا يوم النصار بعدما تحالفت الأحاليف ، وحضره حصن بن حذيفة ، وكان حصن رئيس الأحاليف ، كما جاء ذلك في شعر لزهير بن أبي سلمى^٢ . هذا ما يراه الرواة وأهل الأخبار من علماء قيس وبنو أسد ، ويؤيده أبو عبيدة^٣ . أما الرباب ورواة ضبة ، فترى أن يوم النصار كان قبل يوم جيلة ويفند أبو عبيدة رأي الرباب^٤ . ويقول أبو عبيدة : كان حاجب بن زرارة على بني تميم يوم النصار ويوم الجفار ، وأن « لقيطاً قتل يوم جيلة ، ولو كان حياً ما تقدمه فيه حاجب بن زرارة . وإنما نبه أبو عكرمة بعد أبي نهشل ، وكانا قبل مبعث النبي بسبع وعشرين سنة . وكان عام جيلة مولد النبي »^٥ .

وذكر (المسعودي) أن (بني عامر بن صعصعة) كانوا يؤرخون بيوم شعب جيلة . وكان قبل الإسلام بنيف وأربعين سنة^٦ .

وقد كان يوم شعب جيلة بين بني عامر وأحلافها من عبس وبين من سار اليهم من تميم ، وعليهم حاجب ولقيط ابنا زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله ابن دارم ، ومن عاضدهما من اليمن مع ابني الجون الكنديين^٧ .

وما في رواية أبي عبيدة أو غيره من أن مولد النبي كان في عام جيلة ، وهم . فالرجال الذين أسهموا في ذلك اليوم ، كانوا قد هلكوا قبل ذلك بأمد ، ولم يدركوا أيام الرسول. وقد ذكر أن يوم جيلة كان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة^٨.

- ١ النقائض (٢٣٨ ، ٧٩٠ ، ١٠٦٤) ، العقد الفريد (٩٩/٦) ، ابن الاثير (٣٧٦/١) ، الميداني (٣٩٦/٢) ، العمدة (١٩٩/٥) ، شرح المفضليات (٣٦٣) ، أيام العرب (٣٧٨ وما بعدها) ، نهاية الارب (٤٢١/١٥) .
- ٢ نقائض جرير والفرزدق (٢٣٨/١) وما بعدها ، المفضليات (٣٦٣ وما بعدها) .
- ٣ المفضليات (٣٦٣ وما بعدها) .
- ٤ المفضليات (٣٦٣ وما بعدها) .
- ٥ ديوان جرير والفرزدق (٧٩٠/٢) ، العمدة (٢٠٠/٢) .
- ٦ التنبيه (١٧٥) .
- ٧ التنبيه (١٧٥) .
- ٨ بلوغ الارب (٧١/٢) .

وقد غضبت بنو تميم وخجلت مما نزل ببني عامر من عار بسبب هذا اليوم ، وحلف (ضمرة بن ضمرة النهشلي) ، وهو من سادات بني تميم على أن يترك الحمر ويحرمه عليه حتى يأخذ بثأره من بني أسد ، فهياً نفسه وعباً قومه لقتالهم ، والتقى بهم في يوم ذات الشقوق ، وانتصر فيه عليهم ، وفرح بهذه النتيجة ، وأباح لنفسه عندئذ شرب الحمر^١ .

ولما كان على رأس الحول من يوم النصار اجتمع من العرب من كان شهد النصار . وكان رؤساؤهم بالجفار ، الرؤساء الذين كانوا يوم النصار ، إلا أن بني عامر تقول كان رئيسهم بالجفار (عبدالله بن جعدة بن كعب بن ربيعة) ، فالتقوا بالجفار ، واقتتلوا ، وصبرت تميم ، فعظم فيها القتل وخاصة في بني عمرو ابن تميم . وكان يوم الجفار يسمى (الصيلم) لكثرة من قتل به^٢ .

وفي يوم الجفار التقت بكر بتميم على رواية^٣ ، والتقى الأحاليق في ضبة وإخوتها الرباب وأسد وطيء على بني عمرو بن تميم في رواية أخرى ، واستحر القتل يومئذ في بني عمرو بن تميم على هذه الرواية ، فكان النصر فيها للأحاليق^٤ .

وفي يوم السِيتار ، وهو يوم كان بين بكر بن وائل وبني تميم ، قتل قيس بن عاصم وقتادة بن سلمة (مسلمة) الحنفي فارس بكر^٥ ، وكان قتادة من الجرارين في ربيعة^٦ .

ولضبة نصر آخر ، كان في يوم الشقيقة على بني شيان . وقد قتل فيه بسطام بن قيس سيد بني شيان . وكان ذلك بسبب قيام بسطام بغارة على بني ضبة وطعمه في إبل مالك بن المنتفق الضبتي . فلما رأت ضبة بسطاماً ، وهو يغير على

١ البكري ، معجم (١٣٠٦/٤) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٧٦/١) ، ابن سلام ، طبقات (١٧٩) ، مراصد الاطلاع (٢٠٩/٣) وما بعدها ، تاج العروس (٥٦٤/٣) ، العقد الفريد (٣٧٥/٣) ، المفضليات (٣٦٣ وما بعدها) ، البلدان (٧٧٨/٤) ، العمدة ، لابن رشييق (٩٩/٢) وما بعدها . النقائض (٢٣٨ وما بعدها) (١٠٦٤/٢) ، نهاية الارب للنويري (٤٢١/١٥) ، اللسان (٢٠٥/٥) « صادر » تاج العروس (٥٦٩/٣) .

٢ ابن الاثير ، الكامل (٣٧٦/١) . العقد الفريد (٣٧٥/٣) .

٣ الميداني (٣٩٦) .

٤ العمدة (٢٠٨/٢) .

٥ الميداني (٣٩٦/٢) .

٦ المحبر (٢٥٠) .

الإبل ، هاجمته فوق قتيلاً ، فولت بنو شيان مهزومة تاركة ما استولت عليه وعدداً من رجالها بين قتل وأسير^١ . ويعرف هذا اليوم باسم آخر هو : (نقا الحسن)^٢ .

وانتصرت ضبة على إباد في يوم يسمى يوم بزاختة . وقد كان بسبب إغارة محرق الغساني وأخوه في إباد وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم على بني ضبة بـ (بزاختة) فاقتلوا قتلاً شديداً حمل فيه (زيد الفوارس) على محرق فأسره ، وأسرت بنو ضبة أخا حبيش بن دلف السدي ، فقتلتها وهزم من كان معها ، وأصيب ناس منهم فيه^٣ .

وفي بعض الروايات أن يوم بزاختة هو يوم لصنم . وهو يوم كان لبني عائذة ابن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث بن مزيقيا الملك الغساني ، وهو عمرو بن عامر ، وفيه قتل ابن مزيقيا ، فانهزم أصحابه هزيمة منكرة . وفي رواية أخرى أن هذا اليوم كان مع عبد الحارث من ولد مزيقيا^٤ .

وأما يوم (دارة مأسل) ، فكان لضبة على بني عامر ، غزا (عتبة بن شئير بن خالد الكلابي) بني ضبة ، فاستاق نعمهم . وقتل (زيد الفوارس) (حصن بن ضرار الضبي) ، وكان يومئذ حدثاً لم يذكر . فجمع أبوه ضرار قومه ، وخرج نائراً على بني عمرو بن كلاب ، فأقلت منه (عتبة بن شئير) وأسر أباه (شئير بن خالد) فأمر ضرار ابنه (أدهم) أن يقتله^٥ .

وانتصرت ضبة على بني عبس في يوم النقيعة ، ويسمى أيضاً يوم أعيار . وقد كان بنو عبس قد أغاروا فيه برئاسة عمارة بن العبيسي على إبل لبني ضبة ، ومعه جيش من بني عبس ، فأطردوا إبلهم ، وركبت عليهم بنو ضبة ، فأدركوهم في المرعى ، فحمل (شرحاف بن المثلث بن المشخرة العائذي الضبي) على عمارة فقتله ، واستنقذت بنو ضبة فيه إبلها من (بني عبس) . ويعرف عمارة بـ (عمارة

- ١ النقااض (١٩٠ ، ٢٣٣) ، ابن الاثير (١ / ٢٧٦) ، التبريزي ، شرح ديوان الحماسة (٣ / ٥٢) ، سبائك الذهب (١١٢) ، أيام العرب (٣٨٢ وما بعدها) .
- ٢ العملة (١٩٨ / ٢) .
- ٣ العملة (١٩٧ / ٢) ، النقااض (١٩٥) ، أيام العرب (٣٨٨) .
- ٤ العملة (١٩٨ / ٢) .
- ٥ العقد الفريد (٤٣ / ٦) ، أيام العرب (٣٩٠) ، نهاية الارب (١٥ / ٣٧٨) .

الوهاب (١) .

ومن الأيام التي وقعت بين (قيس) و (كنانة) : يوم الكديد ، ويوم
برزة وحروب الفجار . أما يوم الكديد ويوم برزة ، فقد تحدثت عنها قبل قليل .
وأما حروب الفجار فإليك ما جاء عنها .

العادة في الجاهلية ألا قتال في الأشهر الحرم لقدسيتهما ومكانتها ، فهي أشهر حرم
يستريح فيها الأفراد والقبائل من القتال ، ويكون الإنسان فيها آمناً على نفسه وماله ،
فيظهر فيها الفرسان المعروفون بسفكهم الدماء دون خوف وإن كانوا يتقنعون بقناع
حين حضورهم الأسواق مثل عكاظ خوفاً من وقوف طلاب الثأر على حقيقتهم ،
فيتعقبون خطاهم ، فيفتكون بهم بعد انتهاء الأشهر الحرم . ويذهب في هذه الأشهر
الناس إلى الأسواق للاختيار ، وإلى الكعبات للحج إلى الأصنام ، ثم يعودون إلى
منازلهم مع انتهاء الأيام الحرم خشية حلول الأشهر الأخرى فيتعرضون لطمع الطامعين
وغزو الغازين .

ومع ما لهذه الأشهر من الحرم ، فقد وقعت فيها حروب عرفت بحروب
الفجار وبأيام الفجار ، لأن من اشترك فيها كان قد فجر فيها بانتهاكه قدسية هذه
الأشهر الحرم^١ . ولكنها على ما يظهر من وصف الأخباريين لها لم تكن حروباً
كبيرة واسعة ، إنما كانت مناوشات ومهاترات وقعت لأسباب تافهة بسيطة . ففي
الفجار الأول لم يرق فيه دم ، وإنما محاورات وخصومة كلامية بين كنانة وهوازن
بسبب حادث بسيط لا يستوجب في الواقع خصومة ولا اشتباكات . فقد تناول
(بدر بن معشر الغفاري) (بدر بن معسر الغفاري) على الناس ، بأن جلس
بعكاظ في الموسم والعرب مجتمعة فيه ، ثم مدّ رجله وقال : أنا أعز العرب ،
فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف . فوثب رجل من (بني نصر بن معاوية)
اسمه (الأحمر بن هوازن) فضربه بالسيف على ركبته فقطعها ، فتحاور الحيّان :
أهل المضروب مع أهل الضارب عند ذلك . حتى كاد أن يكون بينهما الدماء ، ثم

١ النقائص (١٩٣) ، ابن الاثير (٣٩٤/١) ، العمدة (١٩٨/٢) ، أيام العرب (٣٩١)
وما بعدها .

٢ العقد الفريد (١٠١/٦ وما بعدها) ، مروج الذهب (٢٧٥/٢) ، اللسان (٤٨/٥) ،
(فجر) ، تاج العروس (٤٦٥/٣) ، (فجر) .

تراجعوا ورأوا ان الخطب يسر^١ .

وفي الفجار الثانية وقعت بينهم دماء يسيرة . وكان سببه عبث شباب من قريش وكنانة بامرأة من بني عامر بن صعصعة وكانت وضيفة حسانة رأوها بسوق عكاظ ، فأرادوا منها أن تكشف لهم عن برقعها ، فثارت ونادت : (يا آل عامر) ، ونادى الشباب قومهم ، فالتحموا في قتال لم يكن هذا الحادث ليوجبه ، ثم انتهى بتوسط (حرب بن أمية) (الحارث بن أمية) باحتمال دماء القوم^٢ .

أما الفجار الثالث ، فكان بسبب دين كان لرجل من بني جشم بن بكر بن هوازن على رجل من كنانة ، فلواه به ، ولم يعطه شيئاً منه . فلما أعياه ، وافاه في سوق عكاظ بقرد ، وجعل ينادي : « من يبيعي مثل هذا الرباح بمالي على فلان بن فلان الكناني . من يعطيني مثل هذا بمالي على فلان بن فلان الكناني رافعاً صوته بذلك ، فلما أكثر من ندائه ، مرّ به رجل من بني كنانة ، فقتل القرد ، فهتف الجُشمي : (يا آل هوازن) ، وهتف الكناني : (يا آل كنانة) وتجمع الحيّان حتى تهاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ، ثم كفوا وقالوا : « أفي رباح تريقون دماءكم ، وتقتلون أنفسكم ؟ » وأصلح عبدالله بن جُدعان بينهما^٣ .

وقع الفجار الآخر بسبب رجل خليع سكير فاسق ، أتعب قومه فخلعوه وتبرأوا منه فخرج منهم ، وصار ينتقل من قبيلة الى قبيلة ومن سيد الى سيد يطلب الحاية والجوار . فلما لفظه الجميع ، وتعابوا منه ، ذهب الى مكة مستجيراً بحرب بن أمية ، فحالفه ، وأحسن جواره . ثم شرب بمكة ، وعاد إلى سيرته الأولى ، فهم حرب بخلفه ، فخرج من مكة ، وذهب عنه الى الحيرة . فلما كان هناك ،

١ العقد الفريد (١٠١/٦) ، الاغانى (٣٦٨/٣) ، ابن الاثير (٣٥٩/١) ، العمدة (٢٠٧/٢) ، سرح العيون (٥٨) ، أيام العرب (٣٢٢) ، العمدة (٢١٨/٢) (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، الاغانى (٧٣/١٩) ، (مطبعة التقدم ١٩٣٢ م) ، تاريخ الخميس ، للديار بكري (٢٥٥/١) .

٢ العمدة (٢١٩/٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، الاغانى (٧٤/١٩) ، الكامل ، لابن الاثير (٣٥٩/١) ، تاريخ الخميس (٢٥٥/١) ، السيرة الحلبية (١٤١/١) .

٣ العمدة (٢٠٧/٢) ، أيام العرب (٣٢٥) ، (كان بسبب دين بني نصر على أحد بني كنانة) العمدة (٢١٩/٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، الاغانى (١٩/٧٤) ، السيرة الحلبية (١٤١/١) ، الكامل في التاريخ (٣٥٨/١) وما بعدها ، تاريخ الخميس (٢٥٥/١) .

عرض على النعمان بن المنذر أن يتولى له حاية لطيمته، ويجيزها له على أهل الحجاز. وسمع بذلك عروة الرحال ، وهو يومئذ رجل هوازن ، فاحتقر أمر هذا الخليع : (البراض بن قيس الكناني) ، فقال للملك : أكلب خليع يجيزها لك ؟ أبيت اللعن ، أنا أجزها لك على أهل الشيخ والقيصوم في أهل نجد وتهامة . فدفعها النعمان إليه ، وخرج عروة بها ، والبراض بن قيس يتعقبه . فلما كان بأوارة غافلته البراض ، فقتله ، واستاق اللطيمة الى خيبر . ولما بلغ خبر مقتل عروة كنانة وهوازن ، هاج الطرفان ، واشتبكا في قتال وقع بموضع بخلّة ، فاقتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجنّ عليهم الليل فكفّوا .

وجرّ عمل هذا الخليع الى وقوع جملة أيام أخرى ، أدت الى اضطراب الأمن في مواسم أمن ما كان يحدث فيها قتال . فبعد عام من يوم نخلّة ، تجمعت قريش وكنانة بأسرها والأحايش ومن لحق بهم من بني أسد بن خزيمّة ، للملاقاة سليم وهوازن، ووزع عبدالله بن جدعان السلاح على الشجعان الفرسان المعروفين بالشجاعة والصبر ، وسلّح يومئذ مئة كميّ بأداة كاملة، سوى من سلّح من قومه واجتمعوا بموضع شمطة من عكاظ في الأيام التي تواعدوا فيها على قرن الحول^١ .

وترأس المتقاتلين المتواعدين سادات ذلك الوقت المعروفون . وعلى كنانة كلها حرب بن أمية ، ومعه عبدالله بن جدعان وهشام بن المغيرة وهما على الميمنة والميسرة ، وعلى هوازن وسليم كلها مسعود بن معتب الثقفي . وفي بني عامر ملاعب الأسنة أبو براء ، وفي بني نصر وسعد وثقيف سبيع بن ربيع ، وفي بني جشم الصمة والد دريد وفي غطفان عوف بن أبي حارثة ، وفي بني سليم عباس ابن زغل ، وفي فهم وعدوان كدام بن عمرو .

وكانت الدائرة في أول النهار لكنانة على هوازن ، حتى إذا كان آخر النهار تداعت هوازن وصابرت ، وانكشفت كنانة فاستحر القتل فيهم ، فقتل منهم تحت رايتهم مئة رجل ، ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، فكان هذا اليوم لهوازن على كنانة وقريش^٢ .

١ (شمطة) ، نهاية الارب (٤٢٧/١٥) ، الاغانى (٧٥/١٩) ، سيرة ابن هشام (١٩٦/١) ، السيرة الحلبية (١٤٢/١) ، العقد الفريد (٢٥٢/٥) .
٢ نهاية الارب (٤٢٧/١٥) وما بعدها ، العقد الفريد (١٠٦/٦) وما بعدها ، ابن الاثير (٢٤٦/١) وما بعدها .

وقد وقع الفجار الثاني بعد الفيل بعشرين سنة ، وبعد موت عبد المطلب باثني عشرة سنة على رواية . ويعد من أيام العرب المشهورة ، وهو أشهر من يوم جيلة النبي وقع قبله في بعض الروايات ^١ .

وعادت هوازن وكنانة الى الحرب ، والتقوا على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ ، واقتتلوا وكانت الهزيمة على كنانة . وقد عرف هذا اليوم بيوم العباء ^٢ .

وقد تأثرت كنانة من الهزيمة التي لحقتها في يومي شمطة والعباء ، وأخذت تستعد للانتقام من هوازن ، فتكتل رؤساؤها واشتروا الأسلحة ، وحمل عبدالله بن جدعان مثيري قريش وغنيها يومئذ ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير . وتولى قيادة كل بطن رئيسه ثم سارت على رأس الحول من اليوم الرابع من أيام عكاظ قاصدة هوازن ، فالتقت بها واشتبكت معها في قتال كاد يهرب فيه بنو كنانة ، لولا صبر بني مخزوم وبلاؤها بلاء حسناً . وخشيت قريش أن يجري عليها ماجرى يوم العباء ، فقيّد حرب وسفيان وأبو سفيان بنو أمية بن عبد شمس أنفسهم وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا أو نظفر واقتتل الناس قتالاً شديداً ، وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه حتى انهزمت ، وانتصرت بذلك كنانة وقريش على بني هوازن . وعرف هذا اليوم بيوم عكاظ ^٣ .

ولما انهزمت قيس ، دخلوا خباء (سبيعة بنت عبد شمس) امرأة (مسعود ابن معتب الثقفي) مستعجرين بها ، فأجار (حرب بن أمية) جيرانها، واستدارت قيس بنجائها حتى كثروا ، فلم يبق أحد لا نجاة عنده إلا دار بنجائها ، فليل للناك الموضع : مدار قيس ، وكان يضرب به المثل ، فتغضب قيس ^٤ .

وقد التقت كنانة وقريش بقيس في يوم آخر يسمى يوم الحرية ، وكان على بني بكر بن عبد مناة ، رئيسهم جثامة بن قيس أخو بلعاء بن قيس وذلك لوفاة بلعاء . أما الرؤساء الآخرون ، فبقوا كما كانوا في اليوم الماضي . وبعد قتال اتفقوا

١ ابن الاثير (٢٤٦/١) .

٢ العباء : علم على صخرة بيضاء الى جنب عكاظ ، العقد الفريد (١٠٧/٦) .

٣ أيام العرب (٣٣٤ وما بعدها) .

٤ أيام العرب (٣٣٥) .

على الصلح وتسوية الديات ، وانصرف الناس من الحرب^١ .

هذه أيام من أيام عديدة أخرى ترد أسماؤها في كتب الأخبار والتواريخ^٢ ، نرى أن أسبابها طبيعة البداوة ، وفقر البادية ، وحاجة الناس الى الماء والمرعى والاعتبارات الاجتماعية وما شاكل ذلك من أسباب أدت الى وقوع تلك الأيام . وقد علقت ذكراها بأذهان الرواة ، لأنها وقعت في عهد لم يكن بعيداً جداً عن الاسلام ، وقد وقعت بالطبع مئات من هذه الأيام ، بحيث أخبارها من ذاكرة حفظة الأخبار ورواتها ، لأنها وقعت في عهد بعيد عن الاسلام أو في أمكنة بعيدة لم يصل مداها الى جماع الأخبار في الاسلام ، فلم يضبطوها في جملة هذا الذي ضبطوه .

والذي نجده من قراءة أسماء الأيام المذكورة ومن أخبارها ، ان معظمها مما كان قد وقع في الحجاز أو في نجد أو العراق والبادية وبلاد الشام والبحرين . أما الأيام التي وقعت في العربية الجنوبية فقلما نجد لها ذكراً عند الأخباريين ، خاصة أيام حضرموت وعمان ، مما يدل على عدم وصول أخبار هذه الأرضين الى علم الأخباريين . والواقع ان علم أهل الأخبار والتاريخ بهذه البلاد ضعيف جداً ، حتى في باب علمهم عنها في الاسلام ، وهو أمر يؤسف عليه .

وتتخلل هذه الأيام أسماء الرجال المشهورين ممن كان لهم أثر خطير فيها ، وهم قادتها ومساير نيرانها ومكونو تاريخ الجزيرة قبل الإسلام . وشأن هؤلاء الرجال من حيث بعدهم وقربهم عن الإسلام ، شأن أيامهم ، فأكثرهم من أهل القرن السادس للميلاد ، ومن ماتوا في عهد لم يكن بعيداً عن الإسلام ، أي في النصف الثاني من هذا القرن . لقد صنع القصاصون ومحبو المبالغات من رواة القبائل ، على عادتهم ، هالة من الأقاصيص والأساطير لأولئك الرجال ، حملت بعض المستشرقين على الشك في حقيقة بعضهم . ولكن وجود القصص الخرافي لا يمنع من الاعتراف بوجود شخص كان قد عاش ومات ، وكان له أثر ظاهر في قومه وأعمال أثرت

١ أيام العرب (٣٣٧) ، الاغانى (٧٩/١٩ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٣٦٣) ، السيرة الحلبية (١٤٣/١) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢٨٩/٢) ، (١٩٣٢ م) ، (مطبعة السعادة) .

٢ هناك أسماء أيام أخرى ذكرها أهل الاخبار ، لا يمكننا التوسع فيها اذ يقتضي ذلك جملة مجلدات ، راجع العمدة (٢٠٠/٢ وما بعدها) .

في مواطنيه ، وجعلتهم يوسعونها ويكبرونها الى أن صنعوها بقصصهم بهذا الشكل الذي وصل الى الأخباريين، بنقلهم الرجال من عالم الحقيقة الى عالم الخرافة والخيال. لقد خلدت تلك الأيام أسماء رجال أثروا تأثيراً مهماً في الحياة السياسية البدوية. لقد أنجز بعضهم أعمالاً لم تنجزها قبائلهم ، فتمكنوا من بسط نفوذهم على كثير من القبائل ومن جمعها تحت رئاسته بفضل زعامته وشخصيته . فهذا زهير بن جناب الكلبي تجتمع عليه قضاة وتنضوي تحت لوائه ، ويفرض الإتاوة على قبائل أخرى من غير قضاة ، ومحارب غطفان وبكرأ وتغلب وبني القين بن جسر ، وهي من القبائل الكبيرة المعدودة ، ثم ينتصر عليها^١ . وهذا كليب بن وائل وهو من معاصري زهير بن جناب ومن المنافسين له ، ومن رجال الصف الأول من القرن السادس للميلاد ، يجمع شمل قبائل ربيعة - وهي قبائل متنافرة متخاصمة - تحت رايته ، ثم يجمع شمل معد ويضمها كلها اليه ، فتكون له الرئاسة على كل قبائلها ، وهو بذلك أحد النفر الذين اجتمعت عليهم معد^٢ .

ومن النفر الذين اجتمعت معد عليهم : عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر ابن يشكر بن الحارث - وهو عدوان بن قيس عيلان - وربيعه بن مرة بن زهير ابن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب ، وكان قائد معد يوم السلان بين أهل اليمامة واليمن^٣ .

ولم في هذه الأيام اسم حذيفة بن بدر ، واسم حمل أخيه ، وكان سيدي بني فزارة . وقد عرف حذيفة بـ (رب) معد^٤ ، وقاد قومه بني فزارة في عدة أيام ، هي : يوم النصار ، ويوم الجفار ، وحرب داحس والغبراء حيث قتل فيها في يوم الهبابة^٥ .

وقد رأينا عدة رجال آخرين يترعمون قومهم في هذه الأيام ، مثل بسطام بن قيس رئيس بني شيان، وهو من مشاهير الفرسان، وأحد الفرسان الثلاثة المعدودين ، وهم : عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث وبسطام ، وربيعه بن مرة بن

- ١ ابن الاثير (٢٠٥/١ وما بعدها) ، الاغانى (٩٣/٢١ وما بعدها) ، المفضليات (١١٧) ، Ency., IV, p. 1237.
- ٢ ابن الاثير (٢١٣/١) .
- ٣ ابن الاثير (٢١٤/١) .
- ٤ العمدة (١٩٣/٢) « باب ذكر الوقائع والايام » ، المحبر (٤٦١) .
- ٥ المحبر (٢٤٩) .

الحارث التغلبي ، والهذيل بن هبيرة الثعلبي من ثعلبة بن بكر ، والحوفزان ، وهو الحارث بن شريك بن عمرو بن الشيباني ، والحارث بن وعلة الذهلي ، وأبجر بن جابر العجلي ، وقيس بن حسان بن عمرو بن مرثد أخو بني قيس بن ثعلبة ، وقتادة بن مسلمة الحنفي ، وأثال بن حجرين النعمان بن مسلمة الحنفي ، والهذيل ابن عمران التغلبي .

وقد دوت الأيام أسماء جماعة من سادات تميم ممن ترأسوا قومهم . ولقبائل تميم مكان في هذه الأيام . ويظهر أنها كانت من القبائل البارزة في القرن السادس للميلاد . ومن هؤلاء : زرارة بن عدس من بني دارم . وقد قاد تميمًا وغيرها في يوم شويحط إلى عذرة بن سعد هذيم ، ولقيط بن زرارة ، وقد قاد تميمًا كلها إلا بني سعد بن زيد مناة إلى بني عامر بن صعصعة يوم جيلة ، والأقرع ابن حابس ، وقد قاد حنظلة كلها يوم الكلاب الأول ، عدا أسماء آخرين تجدهم مذكورين في أخبار الأيام .

وطبيعي أن يكون للفرسان وللقتاك وللشعراء المقام الأول بين أسماء الرجال الذين ترد أسماؤهم في هذه الأيام . وإن لم يكونوا من بيوتات شهيرة معروفة ، لها في الرئاسة ذكر ومقام ، فأعمال المرء كافية لتخليد اسمه بين المشاهير . وإذا كان للشاعر عمل التشجيع والحث على الأقدام ، وإلهاب نار الحماسة في النفوس ، فإن للفراس والقاتك واجباً مهماً في هذه الأيام، فإنهم يقررون في الغالب مصير الحروب ولا سيما الفرسان القتاك الذين يختارون كبش القوم ، فينقضون عليهم ويفتكون بهم ، وبعملهم هذا تنتهي الحرب في الغالب بهزيمة تحمل في الجبهة التي تتضعض بسقوط الرئيس . فإن لسقوط الرئيس صريعاً شائعاً كبيراً عند القبائل . فالرئيس هو الرمز المعنوي للقبيلة ، فتي سقط الرئيس انهارت معنوياتها وخارت قواها ، ولا تستطيع عندئذ الثبات في الميدان ، فيهرب أفرادها في غالب الأحوال، ويكون النصر للجانب الذي أسعده الحظ بوجود فارس عنده قتل رئيس خصمه .

وإذ كان للخيل أثر في حروب تلك الأيام ، في الهجوم والدفاع وفي الكر والفر ، فإن القبيلة التي كانت تملك فرساناً وعدداً وافراً من الخيل ، هي القبيلة المنتصرة الراجحة التي يخشى بأسها ، فلا يطمع فيها الطامعون ، ولا يهاجمها مهاجم بسهولة ، ولها يكون الفخر على القبائل بكثرة ما لديها من خيل ومن فرسان ،

لأن للفرس والفراس شأنًا كبيراً في سرعة كسب الحرب ، وتفتيت جبهة العدو ، واحداث ثُغَر في صفوفه ، تؤدي الى تشتيت شمله وبُعْثْته ثم هزيمته هزيمة منكرة. وهي لقوتها هذه لم تكن تعتمد على غيرها في الحروب والغزو ، إلا إذا قابلت بالطبع قوة كبيرة من القبائل لا يمكن التغلب عليها إلا بالتعاون مع القبائل الأخرى فعندئذ تضطر الى البحث عن حليف .

الفروسية :

والفراس فخر القبيلة ، لأنه المدافع عنها في الحروب والمهاجم الكاسر للأعداء . وهو أهم من الراجل في القتال ، لما له من أثر في كسب النصر وفي ايقاع الرعب والفوضى في صفوف العدو . ولهذا فخرت القبائل بفرسانها ، وفي كثرة الفرسان في القبيلة دلالة على عظمتها وقوتها . نظراً لغلاء ثمن الفرس ، ولأهميته في تطوير الحرب وفي توجيهها . وانهاؤها في صالح من له أكبر عدد من الفرسان .

ومن حسن حظ القبيلة أن يكون بها عدد وافر من الفرسان ، وعدد من الشعراء . فالفراس فنان القبيلة في الحرب وفارسها في الطعان وحامي الدمار والعرض ، والشاعر فارس الكلام ، يؤجج نيران العواطف ويلهب جنوة الحواس في النفوس ، ويدفع الفارس إلى الإقدام ، وبذلك يساعد في كسب النصر لقبيلته ، وفي الدفاع عن عرض القبيلة بسلاحه الموزون المقفى .

وقد حفظت ذاكرة أهل الأخبار أسماء جماعة من فرسان الجاهلية ، دوت في كتبهم ، فوصلت بفضل تدوينهم لها الينا . وعلى رأس من دوتوا أسماءهم في الشهرة وبعد الصيت : (عترة بن شداد العبسي) الذي لا يزال الناس يضربون به المثل في الشجاعة . وهو أحد (أغربة العرب) وهم ثلاثة : أولهم هو ، وثانيهم (خفاف) واسم أمه (نديبة) ، وثالثهم (السليك) واسم أمه (السلكة) ، وأم الثلاثة إماء سود . كانت أم (عترة) أمة سوداء ، اسمها (زبيبة) ، فلما كبر أغار بعض أحياء العرب على قوم من (عبس) ، فأصابوا منهم . فتبعهم العبسيون ، فلحقوهم فقاتلوهم وفيهم عترة . فقال له أبوه (كر يا عترة) ، فقال : « العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلاب والصر » ، وذلك ان العرب في الجاهلية كانت اذا كان لأحدهم ولد من أمة استعبده ، فعدّ (عترة) من العبيد .

فقال له : كر وأنت حر . فقاتلهم واستنقذ ما في أيدي القوم من الغنيمة ، فادعاه أبوه بعد ذلك ، واسمه (عمرو بن شداد) . فنسب إليه .

وقد برز اسمه في حرب (داحس والغبراء) . وقد قتل فيها ضمضاً المري ، أبا الحصين بن ضمضم . وقد كان مصيره القتل كذلك . وتزعم (طيء) أن قاتله منها . ويزعمون أن الذي قتله (الأسد الرهيف)^١ .

ومن مشاهير الفرسان (ربيعة بن مكدم) وهو من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة . وقد عرف (بنو فراس) بالشجاعة والنجدة . وقد كان يعقر على قبره تعظيماً له وتقديراً . مر على قبره (حسان بن ثابت) ، فقال فيه شعراً^٢ .

و (ملاعب الأسنة) ، وهو (عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب) ، (أبو براء) . وهو ممن اشتهر بالفروسية كذلك . وكان سيداً في قومه . ذكر أنه أخذ أربعين مرباعاً في الجاهلية . وفي ذلك دلالة على ما كان له من مقام في قومه . قيل أنه سمي (ملاعب الأسنة) بقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع^٣

وقد عرف بـ (ملاعب الرماح) كذلك^٤ . وقد لقب بهذا اللقب في شعر الشاعر (ليلى)^٥ .

وذكر (السكري) . (عامر بن مالك) في جملة من اجتمعت عليه هوازن . ولم تجتمع هوازن كلها في الجاهلية إلا على أربعة نفر من (بني جعفر ابن كلاب) وهم : (خالد بن جعفر بن كلاب) بعد قتله (زهير بن جذيمة ابن رواحة) و (عروة الرحال بن عتيبة بن جعفر) و (الأحوص بن جعفر)

-
- ١ بلوغ العرب (١٢٦/٢ وما بعدها) ، الدينوري ، عيون الاخبار (١٢٥/١) .
 - ٢ بلوغ العرب (١٢٥/٢) .
 - ٣ بلوغ العرب (١٢٧/٢) ، تاج العروس (٤٢٣/٣) ، (عمر) ، (ومن رجال بني جعفر بن كلاب : عامر بن مالك ملاعب الاسنة ، وابن أخيه عامر بن الطفيل) ، الاشتقاق (١٨٠/٢) ، الاصابة (٢٤٩/٢) ، (رقم ٤٤٢٤) .
 - ٤ الثعالبى ، ثمار (١٠١ ، ١٠٢) .
 - ٥ الثعالبى ، ثمار (١٠١) .

و (عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب)^١ .

و (عامر بن الطفيل بن مالك بن كلاب العامري) ، من فرسان الجاهلية المعروفين أيضاً ، وهو ابن أخي (عامر بن مالك ملاعب الأسته) ، وقد أدرك الإسلام فكان في جملة من وفد مع قومه في سنة تسع من الهجرة على الرسول . وكان قد أضمر الغدر برسول الله . ولكنه لم يتمكن منه . ثم قال لرسول الله : أنجعل لي نصف ثمار المدينة وتجعلني ولي الأرض بعدك فأسلم ؟ فأبى عليه رسول الله . فانصرف عامر وقال : والله لأملأها عليك خيلاً ورجالاً . وكان متعجرفاً متغطرساً ، لما ناله من مكانة عند قومه . حتى زعم أهل الأخبار ان اسمه كان قد طار الى خارج جزيرة العرب ، حتى بلغ (قيصر) ، فكان (قيصر) إذا قدم عليه قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ حتى وفد عليه (علقمة ابن علاثة) فانتسب له ، فقال : ابن عم عامر بن الطفيل ، فغضب علقمة^٢ . ورجع ونافر (عامر بن الطفيل) في قصص من هذا القصص المألوف وروده عن أهل الأخبار .

وروى بعض أهل الأخبار ، أن (عامر بن الطفيل) لما مات نصبت بنو عامر نصاباً ميلاً في حمي على قبره ، لا تنشر فيه راعية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش . تعظيماً لقبره واحتراماً لذكراه^٣ .

وذكر (أبو عبيدة) ، أن (عامر بن الطفيل) ، أحد فرسان العرب المعروفين و (فرسان العرب ثلاثة : فارس نعيم : عتيبة بن الحارث بن شهاب ، وكان يقال له صياد الفوارس وسم الفوارس ، وفارس ربيعة : بسطام بن قيس ابن مسعود ، وفارس قيس : عامر بن الطفيل ملاعب الأسته . فأما ملاعب الرماح فأبو براء عامر بن مالك بن جعفر)^٤ . وذكر أن (عامر بن مالك بن جعفر) ، (أبو براء) ، بعث الى رسول الله يسأله أن يوجه اليه قوماً يفقهونهم في الدين ،

١ المحبر (٢٥٣ وما بعدها) ، أسد الغابة (٨٤/٣) .

٢ بلوغ الأرب (١٢٩/٢) ، الاشتقاق (١٨٠ ، ٢١٥) ، الاغانى (١٥/٥٠ ، ١٣١) .

٣ بلوغ الأرب (١٣١/٢) ، العقد الفريد (١٧٢/١) .

٤ الثعالبى ، ثمار (١٠١) ، وبسطام اسم فارسي . وبسطام أحد الفرسان الثلاثة المذكورين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وبسطام هذا) ، الاشتقاق (٢٢٥/٢) .

فبعث اليهم قوماً من أصحابه ، فعرض لهم (عامر بن الطفيل) ، فقتلهم يوم (بشر معونة) فاعتم أبو براء لذلك ، وقلق لاغفار عامر بن الطفيل بقتلهم ذمته . ومات (عامر بن الطفيل) ، وهو منصرف من عند رسول الله ، ودعا (أبو براء) قيتتين له ، واستدعى (لييداً) ، وأخذ يشرب حتى أثقله الشراب ، فاتكأ على سيفه حتى فاضت نفسه ، فرثاه (لييد) ، ودعاه بـ (ملاعب الرماح)^١ .

وقد عدّه أهل الأخبار في جملة (من كان يركب الفرس الجسام فتخط إبهاماه في الأرض)^٢ ، وفي جملة (العوارن الأشراف)^٣ . وقد نافر (عامر ابن الطفيل) (علقمة بن علاثة) عند (هرم بن قطبة بن سنان)^٤ .

وزعم انه كان في جملة من أوفدهم (النعمان بن المنذر) الى (كسرى) ليبينوا له مكارم العرب . وفي الوفد : أكثم بن صيفي ، وحاجب بن زرارة ، والحرث بن عباد البكري ، وعمرو بن الشريد السلمي ، وخالد بن جعفر الكلابي ، وعلقمة بن علاثة . فتكلم في جملة من تكلم منهم . ودون أهل الأخبار كلامهم وأجوبة كسرى عليه ، وكانهم كانوا كتاب محضر ، دونوه بالنص^٥ ! وله منافرة مع (علقمة بن علاثة) ، كان حكمها (هرم بن قطبة بن سنان) الفزاري . وقد سجل أهل الأخبار حديثها بالنص كذلك^٦ .

ويعدّ (زيد الخيل) من مشاهير فرسان العرب كذلك ، واسمه (زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي) . وهو من سادات (طيء) ومن الشعراء . وكان بينه وبين (كعب بن زهير) هجاء ، لأن كعباً اتهمه بأخذ فرس له . قدم في وفد طيء ، وهو سيدهم على الرسول . فلما انتهوا اليه كلموه . وعرض عليهم الاسلام فأسلموا . ثم بدل الرسول اسمه فسماه زيد الخير . وكلمه فأعجبه فلما ولى عائداً من عنده الى وطنه قال الرسول : « ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخيل ، فإنه لم

١ الثعالبى ، ثمر (١٠١ وما بعدها) ، المحبر (١١٨) .

٢ المحبر (٢٣٤) .

٣ المحبر (٣٠٣) .

٤ المحبر (١٣٥) .

٥ البيان والتبيين (٤٥/١) .

٦ بلوغ العرب (٢٨٨/١ وما بعدها) .

يبلغ فيه كل ما فيه ، ، وقطع له (فيداً) وأرضين معه . وكتب له بذلك . فلما عاد من المدينة وانتهى الى ماء من مياه نجد يقال له : (قردة) أصابته الحمى ، حتى يثرب الشهيرة المكتاة عندهم بـ (أم ملدم) ، فأت بها ^١ .

وكان كما يصفه أهل الأخبار طويلاً جسيماً وسيماً يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه في الأرض كأنه راكب حماراً . أسر عامر بن الطفيل وجز ناصيته ^٢ . (قيل له زيد الخيل لطول طراذه بها وقيادته لها) ^٣ . وقد عدّه (ابن حبيب) في جملة المتعممين مخافة النساء على أنفسهم للجاهل ^٤ .

ومن الفرسان (عمرو بن معديكرب) ، وهو ممن وفد على رسول الله في قومه من (زبيد) . فأسلم ثم ارتد بعد وفاة الرسول ^٥ . فلما سير الخليفة (أبو بكر) جيشاً على المرتدين انهزم (عمرو بن ود) ، ثم أخذ أسيراً الى الخليفة ، فأنبه فعاد الى الاسلام واشترك في معركة (اليرموك) ثم في معركة (القادسية) وتوفي سنة (٢١) من الهجرة ^٦ . ويعد (فارس اليمن) ^٧ . وقعته (ابن حبيب) بـ (فارس العرب) ^٨ .

ومنهم : (دريد بن الصمة) ، وهو من (بني جشم) . وله أخبار مع (بني كنانة) ، وقد أسرته بنو فراس من (بني كنانة) ، فلما عرفته امرأة منهم وهي امرأة (ربيعة بن مكدم) ، توسلت الى قومها بفك أسره ، لمساعدته لها في وقت شدة وهو لا يعرفها وهي لا تعرفه ، ثم جهزته ولحق بقومه ^٩ . وقد عدّه (ابن حبيب) من (أشراف العميان) و (البرص الأشراف) ^{١٠} .

-
- ١ الطبري (١٤٥/٣) وما بعدها ، (وكان شاعراً ، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، فسماه زيد الخير ، وقال له : يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيت في الاسلام الا كان دون الصفة ليسك . يريد غيرك) ، الثعالبي ، ثمار (١٠١) .
 - ٢ بلوغ الارب (١٣٨/٢) .
 - ٣ الثعالبي ، ثمار (١٠١) .
 - ٤ المحبر (٢٣٢) وما بعدها .
 - ٥ الطبري (١٣٢/٣) وما بعدها .
 - ٦ بلوغ الارب (١٣١/٢) وما بعدها ، الثعالبي ، ثمار (٤٣٩ ، ٥٣٥ ، ٦٢١) ، وفقئت عينه يوم اليرموك ، المحبر (٢٦١ ، ٣٠٣) .
 - ٧ الثعالبي ، ثمار ٦٢١ وما بعدها .
 - ٨ المحبر (٢٤٥/٢) .
 - ٩ بلوغ الارب (١٣٤/٢) وما بعدها ، الثعالبي ، ثمار (٣٩٧) ، (فمن بني غزية دريد بن الصمة) ، الاشتقاق (١٧٧) .
 - ١٠ المحبر (٢٩٨ ، ٢٩٩) .

وزيد الفوارس من هذا الرعيل الشهير من فرسان الجاهلية . وكان الرؤساء في قومه . وشهد يوم (القرنين) ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه . وهو من سادات (بكر بن سعد بن ضبة) . وهو (زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي) . وقد طالت رياسته^١ .

ومنهم (عمرو بن كلثوم) الشاعر الشهير قاتل (عمرو بن هند) ملك الحيرة وصاحب المعلقة . وينتهي نسبه الى (تغلب) ، وهو أحد فتاك العرب وأخوه (مرة) هو الذي قتل (المنذر بن النعمان) ، وأمه (أسماء بنت مهلهل بن ربيعة) . وقد ساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، ومات وهو ابن مائة وخمسين سنة^٢ . ومن الفرسان الشجعان (أمية بن حرثان الكناني) ، وكان من سادات قومه ، وقد أدرك النبي وأسلم ، وله ولد اسمه (كلاب بن أمية) دخل في الإسلام كذلك^٣ .

ومن الفرسان (الشنفرى الحارثي) وهو من الشعراء وأحد العدائين. والعداؤون من العرب : السليك ، والشنفرى ، والمتشر بن وهب ، وأوفى بن مطر . ولكن المثل سار من بينهم بالسليك . والعرب تضرب به المثل ، وتزعم انه والشنفرى أعدى من رئي . ويزعمون انها كانا يسبقان الأفراس ، ويصيدان الظباء عدواً^٤ . وقد عرف السليك بـ (سليك المقانب) ومقانب أمه ، وكانت أمه سوداء ، وسليك أيضاً أسود ، وهو أحد أغربة العرب^٥ .

ولم في هذه الأيام اسم حذيفة بن بدر ، واسم حمل أخيه ، وكانا سيدي بني فزارة . وقد عرف حذيفة بـ (رب) معد^٦ ، وقاد قومه بني فزارة في عدة أيام هي : يوم التمار ، ويوم الجفار ، وحرب داحس والغبراء حيث قتل فيها

- ١ بلوغ الارب (١٣٧/٢ وما بعدها) ، (قال الفرزدق :
زيد الفوارس وابن زيد منهم وأبو قبيصة والرئيس الاول
وزيد الفوارس بن حسين بن ضرار . واشتقاق قبيصة من قولهم قبصت قبصة ،
أي أخذت بثلاث أصابعي شيئاً) ، الاشتقاق (١٢٠) .
- ٢ بلوغ الارب (١٤١/٢ وما بعدها) .
- ٣ الاشتقاق (١٠٧) ، بلوغ الارب (١٣٨/٢) .
- ٤ النعالي ، ثمار (١٣٥) .
- ٥ الاغانى (١٣٣/١٨ وما بعدها) ، النعالي ، ثمار (١٠٥) .
- ٦ العمدة (١٩٣/٢) (باب ذكر الوقائع والايام) المحبر (٤٦١) .

يوم الهبأة^١ .

وقد دونت الأيام أسماء جماعة من سادات تميم ممن ترأسوا قومهم . ولقبائل تميم مكان خطير في هذه الأيام . ويظهر أنها كانت من القبائل البارزة في القرن السادس للميلاد . ومن هؤلاء : زرارة بن عدس من بني دارم . وقد قاد تميمًا وغيرها في يوم شويحط إلى عنبرة بن سعد هذيم ، ولقيط بن زرارة ، وقد قاد تميمًا كلها إلا بني سعد بن زيد مناة إلى بني عامر بن صعصعة يوم جيلة ، والأقرع ابن حابس ، وقد قاد حنظلة كلها يوم الكلاب الأول ، عدا أسماء آخرين تجدهم مذكورين في أخبار الأيام .

الخيـل :

وللخيـل أهمية كبيرة في جزيرة العرب ، لأنها سيارة ذلك اليوم ، بل ربما كانت أهم منها عند العربي : يركبها ويحارب عليها بسهولة وبسرعة لا تتوفر في الجمل ويستطيع أن يسابق بها الإبل ، ويفر من يريد اللحاق به لشرّ ينويه تجاهه. ولذلك كانت للخيـل مكانة كبيرة عند الجاهليين في السلم وفي الحرب ، حتى كان الرجل منهم يبيت طاوياً ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده . فالخيـل وقاية للنفس ، والمعقل التي يأوي إليها ، والخير عندهم معلق بنواصي الخيـل^٢ .

ويرجع أهل الأخبار تأريخ ركوب الخيـل إلى (اسماعيل بن ابراهيم) ، يزعمون أنه أول من ركبها، وكانت الخيـل وحوشاً لا تتركب . فذهب إلى موضع (أجياد) ، وهو موضع بمكة يلي الصفا ، وكان موطناً له ، فركب ظهور الجياد . وركب الناس منذ ذلك العهد الخيـل . فاسماعيل على زعمهم هو أول راكب للخيـل^٣ . ويلاحظ أن راوي هذا الخبر أراد اقناع السائل بصحة جوابه ، فربط بين ركوب ظهور الجياد وبين موضع أجياد ، ليبدو الجواب منطقياً مقبولاً .

وقد مدحت العرب الخيـل العرب . أي الخيول العربية الأصيلة، التي لم تهجن،

١ المحبر (٢٤٩) .

٢ بلوغ العرب (٧٧/٢ وما بعدها) .

٣ نهاية الإرب (٣٤٥/٩ وما بعدها) .

ولم يختلط في دمها دم غريب^١ . وقد مدحت الخيل الشقر ، وذلك لسرعتها ، ومدحت بعدها الحصان الأدهم الأرثم المحجل الطلق اليد اليمنى^٢ . وقيل للخيل الكريمة الأصيلة (العتاق من الخيل) و (الخيل العتاق)^٣ .

وقد كانت الخيل من جملة وسائل كسب الحروب . والفريق الذي يملك أكبر عدد من الخيل في المعركة يكسب الحرب . وذلك لسرعتها ولما تحدثه تحركات المحارب على ظهرها من أثر في صفوف جيش العدو . ولهذا عدّ بعض الباحثين دخول الخيل الى جزيرة العرب تطوراً خطيراً في أسلوب القتال عند العرب ، أحدث تغييراً خطيراً في طرق القتال وصار عاملاً مهماً من العوامل التي أدت الى انتشار القتال والغزو في بلاد العرب . وصار في امكان القبيلة التي تملك خيلاً جيدة كثيرة أن تتفوق على غيرها في الغزو ، حتى إذا كانت القبيلة كبيرة ، لأن العدد الكثير وان كان ذا أهمية في النصر، ولكنه لا يستطيع أن يقف أمام الفرسان، ان كان المحاربون من المشاة أو كان أكثرهم منهم . إذ لا يستطيع الثبات أمام صولات وجولات الفرسان الذين يشتمون شمل الصفوف ويمزقون الجمع ، ويمهدون لمن وراءهم من المشاة فرصة الانقضاض على القارين المنهزمين .

ولأهمية الخيل عند العرب ألف كثير من العلماء كتباً فيها ، تجد ذكرهم في (الفهرست) لابن النديم . ومن هؤلاء (ابن الكلبي) صاحب كتاب (أنساب الخيل)^٤ و (ابن الأعرابي) صاحب كتاب (أسماء الخيل)^٥ .

ووضعوا جرائد ومشجرات في أنساب الخيل . حرصاً منهم على المحافظة على أصالتها وبقاء جنس ما عندهم نقياً نظيفاً . ومنعوا الفحول الجيدة منها من الاتصال بالأفراس الرديئة أو الأفراس المجهولة التي ليس لها نسب معروف . حتى لا يتولد من هذا الاتصال نسل رديء هجين . بل حرص صاحب الحصان الجيد على ألا يعطيه لأحد ليتصل بفرسه حتى وإن كانت غاية في النجابة ، وذلك خشية أن ينسل نسلًا فاحراً لغيره ولا يكون له منه شيء . ولا تزال هذه العادة معروفة

١ تاج العروس (٣/٣٣٥ وما بعدها) .

٢ نهاية الارب (٩/٣٦٢ وما بعدها) .

٣ اللسان (١٠/٢٣٦) .

٤ طبع بمدينة « لايدن » وبالقاهرة بمطبعة بولاق .

٥ طبع بمدينة « لايدن » .

عند العرب حتى الآن ، فهم يحفظون أنساب خيولهم حفظاً عجيباً ، من غير رجوع الى جريدة نسب أو شجرة من شجرات النسب . كما يحفظون على النسل الجيد من الخيول العربية ، ويعتنون به عناية فائقة ، إذ يرون أنه زينة وبهجة للمرء ، ومن ملذات الحياة في هذه الدنيا .

ومن دلائل عناية الجاهليين بالخيول ما نجده في اللغة من ألفاظ وكلمات كثيرة تخص الخيل . تخص أسماءها وأسماء أعضائها وجسمها وحركاتها وسكناتها وأوصافها وألوانها ، حتى أنهم لم يتركوا شيئاً له علاقة بها إلا ذكروه . فلا عجب إذن إذا ما ألفوا فيها الرسائل والكتب وتحدثوا عنها حديثاً طويلاً في الجاهلية وفي الاسلام .

وقد اشتهرت بعض الجياد في الجاهلية بشدة عدوها فلا تدانها في العدو خيول أخرى ، وفي مقدمتها فرس عرف بـ (زاد الركب) (زاد الراكب) ، قالوا إن أصل فحول العرب من نتاجه . وقد زعم ابن الكلبي أنه من بقية جياد سليمان ابن داود ، وأن وفدأ من (الأزدي) ، وكانوا أصهاره ، وفدوا عليه ، فلما فرغوا من حوائجهم سألوه أن يعطيهم فرساً من تلك الخيل ، فأعطاهم فرساً كانوا لا يترلون متزلاً إلا ركبهم أحدهم للقتل ، فلا يفلته شيء وقعت عينه عليه من ظبي أو بقر أو حمار ، إلى أن قدموا بلادهم فقالوا : ما لفرسنا هذا اسم إلا زاد الراكب ، فسموه زاد الراكب ، فأصل فحول العرب من نتاجه^١ .

واشتهر فرس آخر بسرعته وبشدة عدوه اسمه (أعوج) ، زعم انه من نسل (زاد الراكب) . قيل : انه كان سريعاً جداً لا يداني في العدو . وكان فحلاً لغني بن أعصر . وقد عرف بـ (أعوج الأكبر)^٢ .

وكان (أعوج) الأصغر أولاً لكنده ، ثم أخذته (سليم) وصار لبني عامر ثم لبني هلال . وأمه (سبل) لغني ، وأم (سبل) (سودة) (البشامة) ، وأم (سودة) (القسامة) ، وكانت لجعدة . وكان أعوج طويل القوائم سريع العدو . ولهم أيضاً (الفياض)^٣ . وقد اشتهر نسله ، واكتسب شهرة في العتاق من

١ العقد الفريد (١٨٤/١) ، نهاية الارب (٣٩/١٠) ، أسماء الخيل ، لابن الاعرابي (ص ٥٠) ، « زاد الركب » .

٢ العقد الفريد (١٨٥/١) ، نهاية الارب (٣٩/١٠) ، بلوغ الارب (١٠٤/٢) .

٣ نهاية الارب (٤٠/١٠) ، العملة (٢٣٤/٢) ، « وأمه سبل كانت لغني ، وأم سبل البشامة ، كانت لجعدة » ، العملة (٢٣٤/٢) ، « القاهرة ١٩٦٤ » ، المكتبة التجارية .

الخيل^١ .

ومن خيل العرب المشهورة : (الغراب) و (الوجيه) و (لاحق) و (المذهب) و (مكتوم) ، كانت كلها لغني^٢ . وذكر ان (الوجيه) و (لاحق) لبني أسد^٣ ، وقيل لبني سعد^٤ . و (الأعق) فحل من خيل العرب ، أنجب سلالة نسبت اليه عرفت بـ (بنات أعق)^٥ .

ومن خيل العرب الشهيرة الأخرى : (قيد) و (حلاب) لبني تغلب . و(الصريح) لبني نهشل ، وزعم انه كان لآل المنذر ، و (جلوى) لبني ثعلبة بن يربوع ، وذو العقال لبني رياح بن يربوع ، وهو أبو (داحس) . وكان (داحس) و (الغبراء) لبني زهير . والغبراء خالة داحس وأخته من أبيه . و (ذو العقال) و (قرزل) و (الخطار) و (الحنفاء) لحذيفة بن بدر . والحنفاء هي أخت داحس من أبيه وأمه . و (قرزل) آخر للطفيل بن مالك^٦ .

و (حذفة) لخالد بن جعفر بن كلاب ، وحذفة أيضاً لصخر بن عمرو بن الشريد . و (الشقراء) لزهير بن جذيمة العبسي و (الزعفران) لبسطام بن قيس ، و (الوريعة) (الوديعة) و (نصاب) و (ذو الحمار) لمالك بن نويرة ، و (الشقراء) أخرى لأسيد بن حنافة السليطي ، و (الشيظ) لأنيف بن جبلة الضبي ، و (الوحيف) (الوجيف) لعامر بن الطفيل ، و (الكلب) و (المزنوق) والورد له أيضاً ، و (الخنثي) (خنثي) لعمر بن عمرو بن عدس ، و (المداج) فرس الريب بن شريق السعدي ، و (جزة) فرس يزيد بن سنان المرثي فارس غطفان ، و (النعام) للحارث بن عباد^٧ .

و (ابن النعام) لعنرة ، و (النحام) فرس (السليكة بن السليك السعدي) و (العصا) فرس جذيمة بن مالك الأزدي ، و (الهراوة) لعبد القيس بن أفصى

-
- ١ نجى حكيم يوم بدر ركضه كنجاء مهر من بنات الاعوج بلوغ العرب (١٠٥/٢) ، شرح ديوان حسان (٦٩) ، (للبرقوقي) .
 - ٢ نهاية العرب (٤٠/١٠) .
 - ٣ نهاية العرب (٤٠/١٠) .
 - ٤ العمدة (٢٣٤/٢) .
 - ٥ تاج العروس (٢٦/٧) ، (عنق) .
 - ٦ نهاية العرب (٤١/١٠) ، العمدة (٢٣٥/٢) .
 - ٧ نهاية العرب (٤١/١٠) وما بعدها . العمدة (٢٣٥/٢) ، أنساب الخيل ، (ص ٦٦ وما بعدها) ، أسماء الخيل (ص ٦٤ وما بعدها) .

و (اليحموم) فرس النعمان بن المنذر ، و (كامل) فرس زيد الخيل ، و (الزبد) (الريد) (الريد) فرس الخوفزان ، وهو أبو (الزعفران) فرس بسطام ، و (العراة) (الحالة) فرس الكلجة اليربوعي^١ .

و (القطيب) و (البطين) فرسان كانا للعرب ، و (اللاعب) (العباية) فرسا حريّ بن ضمرة ، و (المدعاس) فرس النواس بن عامر المجاشعي ، و (صهبي) فرس النمر بن تولب ، و (حافل) فرس مشهور ، ذكره (حرب بن ضرار) و (العسجدي) لبني أسد ، و (الشموس) فرس زيد ابن خذاف (خذاف) العبدى ، و (الضيف) لبني تغلب ، و (هراة الغراب) فرس الريان بن حويص العبدى ، جاءت سابقة طول أربع عشرة سنة ، فتصدق بها على العزّاب يتكسبون عليها في السياق والغارات ، و (الحرون) فرس تنسب إليه الخيل ، وكان لمسلم بن عمرو بن أسد (أسيد الباهلي) ، و (الزليف) فرس مشهور ، وهو من نسل (الحرون) و (مناهب) فرس تنسب إليه الخيل أيضاً ، و (العلهان) فرس أبي مليل (ملك) عبدالله بن الحارث اليربوعي^٢ .

وذكر أن أفراس العرب الشهيرة أفراس عرفت بـ (الكامل) منها : فرس لميمون بن موسى المري ، وقال بعضهم يل كان لامرئ القيس . وفرس لرفاد ابن المنذر الضبي ، وفرس الملقام الكلبي ، وفرس الخوفزان بن شريك الشيباني ، وفرس سنان بن أبي حارثة المري ، وفرس زيد الفوارس الضبي ، وفرس شيان النهدي ، وفرس زيد الخيل الطائي^٣ .

ومن أفراس العرب : فرس عرفت بـ (الكاملة) ، وهي بنت البعيث ، فرس عمرو بن معديكرب . وفرس ليزيد بن قنان الحارثي^٤ .

وكان للرسول تسع عشرة فرساً ، اشترى بعضاً منها ، وتقبل بعضاً منها هدية . وقد اشترى (الضرس) من أعرابي بعشر أوراق ، وسمّاه النبي (السكب) وهو فرسه يوم أحد ، ليس مع المسلمين فرس غيره^٥ . واشترى (المرتجز)

- ١ العمدة (٢٣٥/٢) ، نهاية الارب (٤٣/١٠) وما بعدها .
- ٢ العمدة (٢٣٥/٢) وما بعدها ، نهاية الارب (٤٦/١٠) وما بعدها ، وكذلك أنساب الخيل ، وأسماء الخيل .
- ٣ تاج العروس (١٠٤/٨) ، (كمل) .
- ٤ تاج العروس (١٠٤/٨) ، (كمل) .
- ٥ نهاية الارب (٣٣/١٠) وما بعدها ، العمدة (٢٣٤/٢) ، المعارف (٦٥) .

و (البحر) ، وقد اشتراه من تجار قدموا من اليمن ، فسبق عليه مرات^١ .
واشترى (سبعة) من أعرابي من (جهينة) بعشرة من الإبل .

ومن الخيل التي أهديت للرسول : (اللخيف) (اللخيف) (النخيف) ،
أهداه له : (فروة بن عمرو) من أرض البلقاء ، وقيل أهداه له : (ريعة بن
أبي البراء) و (الظرب) ، أهداه له (فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي) ،
و (الورد) ، أهداه له (تميم الداري) ، و (المرواح) أهداه له وقد من
الرهاويين ، و (اللزاز) أهداه له (المقوقس)^٢ .

ويدفعنا الكلام في تعداد أسماء خيول العرب الشهيرة في الجاهلية الى ذكر جريدة
طويلة بأسمائها . ترد في كتب الخيل وفي كتب المعجمات والأدب^٣ ، ولما كان
هذا الموضوع معروفاً ومدوناً ولا صلة له بالعقلية وبالحياة الجاهلية لذلك اكتفيت
بما أوردته عنها في هذا المكان ، ولن أراود المزيد الرجوع الى الموارد المذكورة .

١ نهاية الارب (٣٥/١٠) ، المعارف (٦٥) .
٢ « ذكر أسماء خيل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » ، نهاية الارب (٣٣/١٠) وما
بعدها ، العمدة (٢٣٤/٢) « باب العتاق من الخيل ومذكوراتها » ، المعارف
(ص ٦٥) .
٣ بلوغ الارب (١٠٤/٢) وما بعدها ، (خيل العرب المشهورة) .